



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية التربية
قسم أصول التربية
التربية الإسلامية

الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في القرآن الكريم

إعداد الطالب
عبد الله يوسف عبد النبي عوض

إشراف الدكتور
حمدان عبد الله الصوفي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
أصول التربية - تربية إسلامية

٢٠٠٩ هـ - ٢٠٠٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ }
(آل عمران ، آية : ١٠٢)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا }
(الأحزاب ، آية ٧٠)

الإهداء

إلى روح والدي الذي كان لي خير نبراس على طريق العلم ...

إلى أُمي الحنون التي كان دعاؤها لا ينقطع لي

إلى زوجتي التي وقفت بجانبني تُساعدني وتحثني على العلم

إلى أفراد أسرتي

إلى زملائي وإخواني ...

إلى أرواح شهداء الجهاد والمقاومة

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد :

فالشكر أولاً لله تعالى على كرمه ورحمته وعطائه ، ثم الشكر لمن كان له أثرٌ في رعايتي خلال كتابة هذه الرسالة ، وتأكيداً لقول الله عز وجل : {هل جزاء الإحسان إلا الإحسان} (سورة الرحمن ، آية: ٦٠) ، وتأكيداً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" (الترمذي ، ب.ت ، ٣٣١/٤ ، ح ١٩٥٤) .

من هذا المنطلق أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان للدكتور/ حمدان عبد الله الصوفي لإشرافه على هذه الرسالة ومنحني من وقته وجهده الكثير وأثار حماستي ورسخ عزيمتي بالاستمرار في كتابة هذه الرسالة فأحسن الله إليه وفرّج الله كربه .

وأتقدم أيضاً بالشكر الجزيل والعرفان إلى الأستاذ الدكتور/ محمود أبو دف الذي كان له الفضل في التشجيع على مواصلة البحث لإتمام هذا العمل لخدمة الدين الحنيف والوطن التليد ، وشارك في مناقشتي .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الوفير للدكتور/ سليمان المزين الذي شرفني بمناقشته هذه الرسالة ، فكان لتوجيهاته وآرائه ومقترحاته أكبر الأثر في إخراج هذا العمل .

كما أتقدم بالشكر للجامعة الإسلامية منارة العلم والدعوة في قطاع غزة ، بل في فلسطين ، والتي ساعدت الكثير من الطلبة على إكمال دراستهم .

كما ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر لكل من ساهم أو نصح أو أرشد ولو بكلمة واحدة .

وأسأل الله أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى .

الباحث

قائمة المحتويات

| الموضوع | الصفحة |
|------------------------------------|--------|
| الفصل الأول | |
| الإطار العام للدراسة | ١ |
| المقدمة | ٢ |
| مشكلة الدراسة | ٤ |
| أهداف الدراسة | ٤ |
| أهمية الدراسة | ٤ |
| حدود الدراسة | ٥ |
| منهج الدراسة | ٥ |
| مصطلحات الدراسة | ٥ |
| الدراسات السابقة | ٦ |
| التعليق على الدراسات السابقة | ٨ |
| خطوات الدراسة | ٩ |

الفصل الثاني

| | |
|--|----|
| مفهوم التقوى وحقيقتها | ١٠ |
| تمهيد | ١١ |
| أولاً : تعريف التقوى | ١٢ |
| ثانياً : الدلالات التربوية لحقيقة التقوى | ١٢ |
| ثالثاً : فوائد وثمرات التقوى | ١٥ |
| رابعاً : سبل تنمية وتحقيق التقوى | ٢٠ |

الفصل الثالث

| | |
|--|----|
| الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الإيماني | ٢٤ |
| تمهيد | ٢٥ |
| أولاً : الدلالات التربوية للتقوى في مجال الإيمان بالله | ٢٦ |
| أ- الإيمان بقدرة الله تعالى في الكون | ٢٦ |
| ب- تدبر إبداع الخالق من خلال الآيات الكونية | ٢٧ |
| ج- تحقيق ولاية الله للمتقين | ٢٨ |

- ثانياً : الدلالات التربوية للتقوى في مجال الإيمان باليوم الآخر ٢٩
- أ- دلائل التقوى التربوية في يوم زلزلة الساعة ٣٠
- ب- دلائل التقوى التربوية في يوم الحشر ٣٠
- ج- دلائل التقوى التربوية في يوم العذاب ٣٢
- ثالثاً : الدلالات التربوية للتقوى في مجال استشعار مراقبة الله وخشيته ٣٣
- أ- مراقبة الله في السر والعلن ٣٣
- ب- محاسبة النفس ٣٥
- ج- خشية الله ٣٧

الفصل الرابع

- الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في مجال العبادات والمجال الروحي ٤٠
- تمهيد..... ٤١
- أولاً : الدلالات التربوية لمفهوم التقوى المتعلقة بالعبادات ٤٢
- أ- ركن الصلاة ٤٢
- ب- ركن الصوم ٤٥
- ج- ركن الزكاة ٤٧
- د- ركن الحج ٥٠
- ثانياً : الدلالات التربوية المتعلقة بصفات المتقين في القرآن ٥٤
- أ- هداية المتقين ٥٥
- ب- موعظة المتقين ٥٦
- ج- تذكرة المتقين ٥٨
- د- تذكرة أهل الكتاب ٥٨
- هـ- بشارة المتقين ٥٩
- ثالثاً : دلالات التقوى التربوية لاستغفار المتقين ٦٠
- أ- استغفار المتقين ٦١
- ب- عدم الإصرار على المعصية ٦٣
- رابعاً : الدلالات التربوية للتقوى في مجال القنوت ٦٥

الفصل الخامس

- الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الأخلاقي السلوكي ٦٨

| | |
|----|---|
| ٦٩ | تمهيد |
| ٧٠ | أولاً : العمل بالإحسان دلالة تربوية للتقوى |
| ٧٤ | ثانياً : التحلي بالصبر دلالة تربوية للتقوى |
| ٨٣ | ثالثاً : العمل على كظم الغيظ والعفو دلالة تربوية للتقوى |
| ٨٨ | رابعاً : التزام الصدق دلالة تربوية للتقوى..... |
| ٩٣ | خامساً : التزام الوفاء بالعهد دلالة تربوية للتقوى |

الفصل السادس

| | |
|-----|---|
| ١٠٠ | الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الجهادي |
| ١٠١ | تمهيد |
| ١٠٣ | أولاً : تقوى المجاهدين دلالة تربوية |
| ١٠٥ | ثانياً : صبر المجاهدين دلالة تربوية |
| ١٠٨ | ثالثاً : غنائم المجاهدين دلالة تربوية |
| ١١٠ | رابعاً : وفاء المجاهدين بالعهد دلالة تربوية |

النتائج والتوصيات

| | |
|-----|--------------------------|
| ١١٢ | أولاً : النتائج |
| ١١٢ | ثانياً : التوصيات |
| ١١٣ | ثالثاً : المقترحات |
| ١١٤ | المراجع والمصادر |

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة إلى التعرف على المفهوم الكامل لمعاني التقوى والدلالات التربوية المستفادة منها وأثرها على الإنسان المسلم ، وذلك من خلال البحث في آيات القرآن الكريم واستخراج الدلالات التربوية لها في المجال العقائدي ، والإيماني ، والتعبدي ، والسلوكي الأخلاقي ، والجهادي . وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي ، حيث تم جمع الآيات القرآنية الخاصة بها ، وتصنيفها بحسب الدلالات التربوية التي ضمت المجالات المتعددة للتقوى ومن ثمّ استشفاف الدلالات التربوية لها من خلال التفاسير الواردة في كتب التفسير والسنة .

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة :

- ١- إن مفهوم التقوى في القرآن يُنظّم كل أعمال الإنسان الخيرة من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة التي تُساهم في بناء شخصية المسلم .
- ٢- هناك دلالات تربوية لمفهوم التقوى في المجال الإيماني تُؤدي بالإنسان المسلم إلى سلوك سبيل الاستقامة في الاعتقاد والفكر والسلوك .
- ٣- لمفهوم التقوى دلالات تربوية في مجال العبادات تُساهم في أن يجمع الإنسان في أعماله بين الإخلاص والتجرد من جهة والصواب والإتقان من جهة أخرى .
- ٤- الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الأخلاقي تُسلّح المسلم بسياج يقيه من الوقوع في الرذائل ويجعله قدوة لغيره في الصدق والتواضع والإيثار .
- ٥- الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الجهادي تُعني ببناء سلوك المجاهد وضبطه وسلامته من الغدر والظلم والاعتداء .

وقد أوصت الدراسة بما يلي :

- ١- اعتماد التقوى هدفاً سامياً لتحقيق سلوكاً أفضل للمسلم في حياته اليومية .
- ٢- عقد دورات تربوية للوعاظ والخطباء والمدرسين والمربين في دراسة كيفية تطبيق سلوكيات التقوى في حياتنا المختلفة .
- ٣- إصدار مجلة دورية تُعني بإحياء التقوى في نفوس الشباب المسلم وإرشادهم إلى ممارسة سلوك التقوى .
- ٤- عقد ورش عمل دورية لتحقيق سبل التقوى للمجتمع المسلم .
- ٥- الحث على إلزام المجتمع والجماعات المختلفة على تقوى الله تعالى ما استطاعوا لذلك سبيلاً .

Abstract

This study aimed to know the real concept of the meaning of Taqwa and the educational indications we benefit from its effects on Muslim. This could be achieved through research in the holy Quran and gaining the educational indications from the religious field, faith, worshiping, behavioral morals and Jihad.

The researcher used the analytical descriptive method through collecting all the Quranic verses related to this and classifying them according to the educational indications which included different aspects for the Taqwa. So the researcher classifying gets the educational indications of this word through the explanations that occur in the Tafseer and Sunna books.

The most prominent result that the study achieved:

- 1- The concept of Taqwa in the holy Quran organizes all the human good actions they are doing and saying whether internal or external which help in building the character of the Muslim.
- 2- There are educational indications of Taqwa concept in the faithful field which lead the Muslim to the straightful behavior in thought, belief and behavior.
- 3- Taqwa concept has many educational indications in the field of worshiping contributes that human collects all his/her deeds between faith, concentration from one side and correctness and perfection from the other side.
- 4- The educational indications of Taqwa in the moral field protect Muslim from involving in sins and makes him a model/example of real Muslim.
- 5- The educational indications of Taqwa concept in the Jihad field build the behavior of the fighter (Mojahed) punctuality and safety from deceiving and oppression.

Research recommendation:

- 1- Assigning Taqwa (peity) as an ideal goal for life and Hereafter.
- 2- Holding educational training courses to preachres, speakers, teachers and tutors to achieve Taqwa concept among people.
- 3- Issuing a magazine that aim to revive the Taqwa in the souls of Muslim youth and guiding them to practice the behavior of Taqwa.
- 4- Holding regular workshops to achieve the ways of Taqwa in the Muslim community.
- 5- Appeal to community and different groups on Taqwa of Allah as possible as they can.

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

- المقدمة
- مشكلة الدراسة
- أهداف الدراسة
- أهمية الدراسة
- حدود الدراسة
- منهج الدراسة
- مصطلحات الدراسة
- الدراسات السابقة
- التعقيب على الدراسات السابقة
- خطوات الدراسة

- المقدمة

التقوى في الدين الإسلامي سلوك متكامل للمحافظة على كيان المسلم من الانحراف والإفراط والتفريط ، حيث أن المسلم إذا أقدم على المعصية أو الانحراف كانت الخشية والتقوى هي المراقب أو المانع أو الحائل من ذلك حيث قال الله تعالى : **لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ** **وَلتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**{الحشر ، آية : ١٨} .

التوجيه القرآني يأمر بالتقوى والنظر لما قدّم المؤمن للأخرة ، وماذا يريد بعد ذلك من الجزاء ، فهذا الحائل يجعل الإنسان دوماً في خوف من اقتراف الذنب وعدم الاقتراب منه حتى لا يقع في المحذور .

وقد حثت الآيات القرآنية على تقوى الله وخشيته حتى تصل بالإنسان المؤمن إلى المرتبة العليا والنجاة من فتن الدنيا والآخرة ، فهذا منهج القرآن الذي يُربي المؤمن على مفهوم التربية بالخشية والتقوى ، ومن ثمّ كانت الآيات توضيحاً لمفاهيم تربوية لحقيقة التقوى التي تحثُّ على المراقبة والخوف من الله عز وجل لقوله تعالى : **لَوْ مَن يَطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** **وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**{النور ، آية : ٥٢} .

فالتقوى في القرآن هي وصية الله إلى الأولين والآخرين حيث قال الله تعالى : **لَوْ لَقَدْ** **وَصَيَّنَّا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ** **وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً**{النساء ، آية : ١٣١} ، لذا كانت التقوى من أهم ما دعا إليه الأنبياء أقوامهم ، فهذا نبي الله نوح عليه السلام يدعو قومه لتقوى الله تعالى : **كذَّبْتُمْ قَوْمُ** **نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ**{الشعراء، آية: ١٠٦-١٠٧} .

والتقوى كلمة جامعة لفعل الطاعات وترك المعاصي الكبير منها والصغير ، وهي في جملتها تكتنف النفس المؤمنة من داخلها ، حيث تنبه الضمير بالإحساس العميق بالمراقبة والذي به ينبع الخير من قلب المؤمن دون ضغوط خارجية ، وتتفره من الشرِّ بلا قسر أو إكراه ، حيث استعمل علي بن أبي طالب رجلاً على سرية فقال له : "أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لا بد لك من لقاؤه ولا منتهى لك دونه" (الحنبلي ، ٢٠٠٢م : ص ٢٩٤) .

وقد حثّ النبي صلى الله عليه وسلم على تقوى الله وعدم الانجرار وراء شهوات الدنيا والخوض فيها بالباطل ، والبعد عن الفتن المؤثرة في النفس والسلوك ، مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : "إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فانقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح ٢٧٤٢ ، ص ١٤٢١) . وقوله أيضاً معرفاً بالإحسان : "أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح ٨ ، ص ٣٠) . وهذا الحديث تجسد في قول وسلوك عمر بن عبد العزيز

حيث روي عنه أنه لما حمد الله وأثنى عليه قال : "أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ... " (السيوطي ، ١٩٩٠م : ٥٩/١) .

فعندما التزم عمر بن عبد العزيز بهذا المبدأ وهذا السلوك أصبح من الخلفاء الراشدين وتحقق الأمن والأمان في مجتمعه .

أما اليوم فنرى المجتمع المسلم يعيش حالة من الانفلات وعدم الالتزام بالأوامر القرآنية التي تحرم الدم والقتل والغيبة والنميمة والاعتداء والظلم والكذب والإشاعة المغرضة دون وازع من ضمير فحصل الهرج والمرج وانتشرت هذه المظاهر المشينة بسبب عدم المراقبة والخشية من سوء العاقبة في الدنيا والآخرة وابتعد الكثير عن مفهوم تقوى الله ، وعدم فهم قوله تعالى : **{مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}** (سورة ق ، آية : ١٨) .

لذا يُوجد فجوة كبيرة بين ما يدعو إليه الإسلام من سماحة التعامل بمفهوم التقوى مع جميع البشر وما يُوجد من أفكار ابتعدت عن المنهج المتزن المستند إلى القول والعمل في حياة المسلمين ، فنشأ بسبب ذلك اعتداءات على النفس المسلمة بدون مراقب ولا خوف ولا وجل ولا تقوى من سوء العاقبة .

لذلك يرى الباحث أن معالجة مفهوم التقوى تتم من خلال التوجيهات التربوية لهذا المفهوم من خلال القرآن الذي يُحدد مسارات عديدة في معالجة النفس بالتربية الإيمانية في مجال الأخلاق والصدق والخوف وتهذيب سلوك الإنسان الذي يجعله دائم المراقبة والمحاسبة لنفسه .

وقد أشارت بعض الدراسات مثل دراسة جميلة الشنطي ، إلى دور بعض المؤسسات المختلفة ، مثل المدرسة والمسجد والأسرة ، حيث وضعت توجيهات تربوية تُبين مساوئ وخطورة الخواء الروحي والبعد عن التقوى كمنهج رباني يُساعد في أمن الإنسان وحياته ، من خلال توضيح منهج الإسلام التربوي في القرآن وضبطه النفس الإنسانية من الانحراف والاعتداء والظلم .

فالتزام التقوى فيه الدلالات التربوية والمنهجية الربانية التي تُحقق الكثير من المميزات الحسنة في تربية الخلق المسلم من تكفير للذنوب والسيئات ومضاعفة الحسنات وتحقيق معية الله وحفظه والتيسير للرزق وتقريج الهموم وتنقيس الكروب وإصلاح ذات البين والنجاة من عذاب الجحيم والفوز برضا الله ، وهذا ما أكده الله عز وجل في قوله: **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}** (الطلاق ، آية : ٢) .

وقوله تعالى : **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}** (الطلاق ، آية : ٤) .

وقوله تعالى : **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا}** (الطلاق ، آية : ٥) .

لذلك فالتقوى لها معنى كبير كما قال ابن كثير : "التقوى اسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات"(ابن كثير ، ١٩٩٠م : ٢٠٠/١) .

وقد اختار الباحث هذا الموضوع لما فيه من توضيح الدلالات التربوية لمفهوم التقوى لعلاج الكثير من الأخلاقيات السيئة المذمومة في المجتمع مثل الكذب والظلم وانعدام الضمير والغيبة والنميمة وعدم محبة الآخرين ، وكان ذلك بتهديب السلوك الإنساني من خلال المراقبة والخشية المرتكزة على القرآن ومفاهيم تربوية عالجهما النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من المواقف وتقدير هذا السلوك من خلال المعلم داخل المدرسة لإصلاح النشئ .

– مشكلة الدراسة

تتحدد مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس التالي :

ما الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في القرآن الكريم ؟

ويتفرع عن السؤال الرئيس الأسئلة التالية :

- ١- ما مفهوم التقوى في القرآن الكريم وما سبل تنميتها ؟
- ٢- ما الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الإيماني ؟
- ٣- ما الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في مجال العبادات ؟
- ٤- ما الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الأخلاقي السلوكي ؟
- ٥- ما الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الجهادي ؟

– أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى :

- ١- تحديد مفهوم التقوى في القرآن الكريم وسبل تنميتها .
- ٢- بيان الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الإيماني .
- ٣- إبراز أهم الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في مجال العبادات .
- ٤- توضيح الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الأخلاقي السلوكي .
- ٥- استكشاف الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الجهادي .

– أهمية الدراسة

وتتحدد أهمية الدراسة فيما يلي :

- ١- أهمية الدلالات السلوكية التربوية لمفهوم التقوى ودرجات تأثيرها على الفرد المسلم .

٢- قد تساعد التربويين والدعاة وأولياء الأمور في توجيه الأفراد للتقوى في جميع جوانب حياتهم والوقاية من الأخلاق السيئة وتهذيبها .

٣- يمكن أن تُفيد المؤسسات والجمعيات في العالم الإسلامي والعربي والفلسطيني في توجيه التطبيقات التربوية المعاصرة بما يتلائم مع الدلالات التربوية لمفهوم التقوى .

- حدود الدراسة

تتحدد الدراسة في الدلالات التربوية لمفهوم التقوى من خلال استقراء آيات القرآن الكريم والتي تتحدد في بيان مفهوم التقوى وسبل تنميتها ، ومدى تفعيل دور التقوى لسلوك المسلم في المجال الإيماني والعبادات والأخلاق والجهاد .

- منهج الدراسة

استخدم الباحث في دارسته "المنهج الوصفي التحليلي" الذي يتناول دراسة أحداث وظواهر وممارسات قائمة موجودة متاحة للدراسة ، والقياس كما هي دون تدخل الباحث في مجرياتها (الأغا ، ١٩٩٧م : ٤١) . والذي يعتمد على تجميع الآيات المتعلقة بالدلالات التربوية لمفهوم التقوى ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى مقترحات لتنمية التقوى لدى أفراد المجتمع ، من أجل الإصلاح الإيماني للفرد والمجتمع وعلاج السلوكيات الخاطئة وربطها بمفهوم الخوف والخشية من الله .

- مصطلحات الدراسة

الدلالة : لغة : "الدليل : ما يستدل به ، والدليل : الدال ، وقد دلّه على الطريق يدلّه دلالة" (ابن منظور ، ب.ت : ٣٩٣/٤) .

الدلالة : اصطلاحاً : "يُمكن تعريفه بأنه دراسة المعنى ، أو العلم الذي يدرس المعنى" (العبيدي ، ٢٠٠٤م : ص١٥) .

ويعرفها الجرجاني فيقول : "الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال ، والثاني المدلول" (الجرجاني ، ١٩٨٧م : ص٦١-٦٢) .

وفي تفسير الآية لمفهوم الدلالة في الآية : **{فدلاهما بغرور}** (الأعراف، آية : ٢٢) حكاية عن غواية الشيطان لآدم وزوجه : "أي أرشدهما إلى الأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها . فإشارة الشيطان دال" (القرطبي ، ١٩٨٨م : ١١٦/٤) .

ويعرف الباحث في التعريف الإجرائي للدلالات التربوية للتقوى هو : ما يُرشد إليه مفهوم التقوى ويدل عليه في مجالات الأفكار والسلوك ويُساهم به في بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة .

الدراسات السابقة

لم يقف الباحث على رسالة كتبت بصورة مباشرة تتعلق بالتقوى ، وكانت هناك دراسات تناولت بعض الإشارات والإيحاءات الخاصة بجانب تهذيب السلوك وتربية المسلم على الالتزام بها وهي :

١- دراسة أبو دف (١٩٩٢) ، بعنوان : "الجانب الإيماني في التربية الإسلامية وانعكاساته على حياة الأفراد" .

أشارت الدراسة إلى التعريف بالتربية الإيمانية التي هي أهم الأساسيات المحورية التي تقوم عليها التربية الإسلامية الشاملة ، وكذلك معرفة مضمون التربية الإيمانية وتوضيح مكوناتها وما هي الأسس التي تركز عليها مبادئ التربية الإيمانية ، ومعرفة الوسائل التربوية المختلفة التي تقوم بتفعيل دور التربية الإيمانية في حياة المسلم وتحقيق أهدافها ، وكذلك إيضاح أثر التربية الإيمانية على حياة الأفراد في شتى مجالات الحياة المختلفة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية .

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، وتوصل الباحث من خلال الدراسة إلى النتائج التالية : أن التربية الإيمانية تُعتبر من الوسائل المهمة في حياة الأمم لتقوم بالعملية التربوية لتحسين سلوكياتهم وتحقيق أهداف الحياة بالإيمان والتقوى ، وأن التربية الإيمانية لها آثار طيبة إيجابية على حياة الأفراد في جميع المجالات المختلفة ، وأن جميع مشكلات المجتمع راجعة إلى ضعف الإيمان وعدم اكتمال التصور الإيماني لديه .

وقد أوصت بضرورة تفعيل وصياغة المناهج التربوية في العالم الإسلامي على أسس إسلامية ، والتحرر الكامل من سيطرة الاستعمار ، ووضع الجانب التربوي الإيماني كجزء من محتوى المناهج التربوية في العالم الإسلامي .

٢- دراسة الحازمي (١٩٩٦ م) ، بعنوان " الهداية في القرآن الكريم " .

عمدت الدراسة إلى إظهار دور الهداية في تنمية سلوك المسلم والتي ركزت على الاعتصام بالله عز وجل والإنابة والافتداء بأهل الهدى ، ولذلك جعلت الدراسة من الأساليب التي ترغب في العمل بسبب الهداية والافتداء ، وركزت الدراسة على آثار الهداية في الدنيا والآخرة من خلال الخشية والخوف من الله وعذابه .

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، وتوصل الباحث من خلال الدراسة إلى النتائج التالية : أن الهداية لها دور كبير في توجيه سلوك المسلم إلى النجاة من الشقاء في الدنيا

والأمن من الخوف في الدنيا والآخرة ، وكذلك بينت الآثار المنجية من عذاب الآخرة باتباع أخلاق الهداية التي لها دور كبير في طريق النجاة .

٣- دراسة لولو (٢٠٠١ م) ، بعنوان : " الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر " .

هدفت الدراسة إلى بيان الآثار التربوية المترتبة على الإيمان بالقضاء والقدر على المنهج السليم ، حيث أشار إلى مفهوم القضاء والقدر وعلاقته بإيمان المسلم وعقيدته ، والتي لها الأثر على حياته وعقيدته .

وقد استخدم الباحث المنهج الاستنباطي لاستخلاص الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر ، وقد خلصت الدراسة إلى أن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر هي من صميم التقوى ، حيث أن الرضا بقدر الله تعالى يجعل الإنسان مؤمناً ومقتنعاً بما يفعله الله عز وجل وكل فعله خير ، وأن مفهوم الإيمان بالقدر له دور بارز في صقل شخصية المسلم وسلوكه وفي تعامله وتقواه لله عز وجل وعدم السخط على قدره ، وهكذا تنعكس هذه المفاهيم على الجوانب الروحية والإيمانية والنفسية لحياة المسلم .

٤- دراسة القدرة (٢٠٠٢ م) ، بعنوان : " محببات العمل الصالح وآثارها كما يصورها القرآن الكريم " .

وقد أشارت إلى علاج مفهوم العمل الصالح المرتكز على الإيمان والتقوى والذي به يسمو ويصل بالمسلم إلى الدرجات العلى ، وعالجت أسباب تعطيل العمل الصالح وهي من الأعمال المخالفة للإيمان والتقوى والبعد عن حقيقة الإيمان وخشية الله .

وقد استخدم الباحث المنهج الاستنباطي في بيان محببات العمل الصالح وآثارها كما يصورها القرآن الكريم ، وقد خلصت الدراسة إلى بيان خطر الحبوط للعمل من خلال الذنوب والردة وارتكاب المعاصي والذنوب ، وأن الكبر ينقسم بالنسبة للتكبر عليه إلى ثلاث : التكبر على الخالق ، التكبر على الرسول ، التكبر على العباد . وهذا استحق الإحباط ، وأن حلول أنواع الدمار والهلاك على الأمة ليس ببعيدان عنها إذا استمرت في ارتكاب الجرم والتعدي على الحدود .

وقد أوصت الدراسة : بالتركيز على هذه المجتمعات في خطب الجمعة ، وإصدار نشرات موجزة تحذر الناس من إحباط العمل ، والبدء بالنفس وإصلاحها إيمانياً وتربوياً .

٥- دراسة خلف (٢٠٠٤ م) ، بعنوان : " التربية الروحية في الإسلام " .

هدفت إلى بيان دور القيم الروحية في بناء الإنسان والتي لها دور بارز في إعادة صياغة شخصية المسلم التي كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وبدورها تستطيع مواجهة التحديات المعاصرة من العدو العالمي للفكر الصهيوني الذي يُحاول تدمير روح الإسلام وعقيدته ، ولذلك تهدف إلى إعادة تربية المسلم روحياً لمساعدته في مواجهة هذه التحديات من خلال تربيته بالتقوى والإيمان والعودة إلى حقيقة الدين .

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لبيان آثار التربية الروحية على سلوك المسلم ، وخلص الباحث إلى أن التربية الروحية من أخطر المهام في التربية الإسلامية ويتعلق بها صلاح الفرد والمجتمع وعندما نقرأ الآيات التي تحظى بالجانب الروحي وتركيز النفس ومجاهدة النفس وأحوال القلب والأوامر المتكررة بالأذكار والتسبيح تراها تشغل جزءاً كبيراً من هذه الآيات الدالة على تربية المسلم روحياً وإيماناً وتقوى .

وهناك دراسات شرعية موجودة في مركز فيصل للدراسات والبحوث بالسعودية لم نستطع الحصول عليها بسبب الحصار الظالم الذي لا يخفى على أحد ولعدم وجودها على الانترنت بشكل كامل باستثناء العناوين وهي : دراسة سعد الله أحمد عارف بعنوان (آيات التقوى في القرآن الكريم) رسالة دكتوراه ، ودراسة عبد الله النويصر بعنوان (التقوى في القرآن الكريم) رسالة ماجستير ، ودراسة مريم عبد القادر السباعي بعنوان (التقوى بين الخلق والسلوك) رسالة ماجستير . وهذه بعض الدراسات التي يُمكن أن تكون لها جوانب تُعالج بعض السلوكيات الخاصة بالتقوى .

"التعقيب على الدراسات السابقة"

بالنظر إلى الدراسات السابقة فقد تبين أنها تحدثت عن معاني الإيمان والخشية والتربية الإيمانية والتي بدورها تجعل الإنسان في حذر من الوقوع في المعاصي والآثام ، والعمل على تركية النفس وتهذيب السلوك ، وهذا التشابه إلى حد كبير مع مضمون الدراسة الحالية التي تحدثت عن مفهوم التقوى الذي يضم في طياته كل تلك المعاني ، ونلاحظ أن دراسة أبو دف والحازمي ورضا القدرة أشارت إلى أهمية الإيمان والعمل على زيادة الإيمان والتقوى في قلوب المؤمنين ، وقد اتفقوا جميعاً على تفعيل دور الإيمان في النفس الإنسانية .

وأما دراسة لولو وخلف أشارتا إلى الدور التربوي في بناء النفس الإيمانية والسلوك الإنساني ، وهذا ما أشارت إليه الدراسة الحالية .

وتشابهت أيضاً مع الدراسات السابقة في المنهج المتبع وهي المنهج الوصفي التحليلي .

- وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في أنها تناولت جانب الدلالات التربوية لمفهوم التقوى وتعديل السلوك الإنساني ليشعر المسلم بالأمان والرضا بقدر الله تعالى .
- وقد تميزت الدراسة الحالية بما يلي :
- ١- أن الدراسة عمدت إلى دراسة المفاهيم التربوية الدالة على التقوى وذلك عبر الوسائل المختلفة لتربية العمق الإيماني لدى المسلم .
 - ٢- بيان الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال التعبدية والأخلاقي والإيماني وغيره .
 - ٣- تعميق جانب الخير في الفرد المسلم من خلال التزامه مبدأ التقوى .
- وقد استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة فيما يلي :
- ١- تحديد كثير من اتجاهات الإطار النظري للدراسة .
 - ٢- الاستفادة من نتائج الدراسات في تفسير وتحليل النتائج الحالية لمفهوم التقوى .

- خطوات الدراسة

سوف يقوم الباحث بالخطوات التالية :-

- ١- جمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن التقوى .
- ٢- تحديد مفهوم التقوى من خلال آيات القرآن الكريم .
- ٣- الرجوع إلى الأدب التربوي للاستفادة منه في إثراء الدلالات التربوية لمفهوم التقوى.
- ٤- عرض الدلالات التربوية لمفهوم التقوى ومناقشة الأفكار والرؤى لبيان أهمية هذا المفهوم من خلال آيات القرآن الكريم .

الفصل الثاني

مفهوم التقوى وحقيقتها

- تمهيد

أولاً : تعريف التقوى لغة واصطلاحاً

ثانياً : الدلالات التربوية لحقيقة التقوى

ثالثاً : فوائد وثمرات التقوى

رابعاً : سبل تنمية وتحقيق التقوى

تمهيد

التقوى ضابط أساسي من ضوابط السلوك الإنساني تتكون في حقيقتها مراقبة الله والحرص على مرضاته والخوف من عذابه ، وهي حالة روحية قوامها الاستشعار الدائم بأن الله تعالى رقيب علي كل شيء ، وقد وصى بها النبي صلى الله عليه وسلم والعمل على تطبيقها .

"التقوى شعار المؤمنين ووصية الله تعالى للخلق أجمعين ، وكانت من أهم أهداف الرسل الذين بعثهم الله من أجل دعوته ودينه ، كما كانت من أهم ما أوصى بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمته" (الأطرش ، ٢٠٠٢م :ص ٥) .

فقد أوصى الله تبارك وتعالى جميع الخلق بتقواه حيث قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ (النساء ، آية : ١٣١) ، وكان الأنبياء يقومون بالدعوة إلى الله والتي هي من وسائل توجيه الأمة إلى عبادة الله واتقاء عذابه والبعد عن الشرك والانحراف ، حيث قال الله تعالى : ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (الشعراء ، آية : ١٠٥-١١٠) ، وقال تعالى : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت ، آية : ١٦) ، وقال تعالى : ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ (الشعراء ، آية : ١١) .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أنقى المتقين وأكثر المراقبين لله عز وجل في جميع أعماله حيث قال : "أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له .." (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح 1108) .

فكان لا بد من فهم للتقوى ومدلولها حتى نستطيع تربية النفس على طاعة الله من خلال المفاهيم والدلالات المختلفة للتقوى ، حيث قال ابن رجب الحنبلي : "وأصل التقوى أن يعلم العبد ما يتقي ثم يتقي" (الحنبلي ، ٢٠٠٢م : ص ٢٩٠) .

فالتقوى حقيقة ودلالة : هي الابتعاد عن الحرام واتقاء الشبهات حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم : "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس" (الترمذي ، ب.ت : ح ٢٤٥١ ، ص ٥٥٢) ، وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسين قال : "ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام" (السيوطي ، ١٩٩٠م : ٥٨/١) .

وهناك تعريفات مختلفة للتقوى التي لها دلالة تربوية لمفهوم التقوى ، والتي لها علاقة بتربية النفس على العمل بها .

أولاً : تعريف التقوى لغة واصطلاحاً

التقوى لغة : "وقيت الشيء أقيه ، إذا صنته وسترته عن الأذى"(ابن الأثير ، ب ت : ٢١٧/٥) .
وقال ابن منظور : "وقى : وقاه الله وقياً ووقاية صيانة . ووقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى ، وقد توقيت واتقيت الشيء وتقيتته اتقيتته تقي وتقية : حذرته ، الاسم : التقوى بالتاء بدل الواو ، والواو بدل من الياء"(ابن منظور ، ب ت : مادة "وقى" ، ٣٧٧/١٥) .
وقال القرطبي : "الأصل في التقوى ، وقوى ، على وزن فعلى ، فقلبت الواو تاء من وقيته أقيه أي : تقيته ، ورجل تقي أي خائف ، أصله وقى ، وكذلك : تقاة كانت في الأصل وقاة"(لقرطبي ، ١٩٨٨ م : ١/١١٤) .

التقوى اصطلاحاً : هناك تعريفات كثيرة للتقوى في الاصطلاح الشرعي وهي تدور حول ترك ما نهى الله عنه ، فقد عرفها البيضاوي فقال : "الوقاية : فرط الصيانة ، وهو في عرف الشرع : اسم لمن يقي نفسه مما يضره في الآخرة"(البيضاوي ، ١٩٨٨ م : ١/١٦) .
فالتقوى بهذا المفهوم الحذر والخشية والوقاية والبعد عن ما حرم الله خوف الوقوع فيه وهذا ما قاله ابن رجب الحنبلي : "أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك ، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه"(الحنبلي ، ٢٠٠٢ م : ص ٢٨٧) .
فالتقوى اصطلاحاً هي : اجتناب ما نهى الله عنه ويدخل فيه أداء ما فرضه الله على المسلم من الطاعات والواجبات ، وما نهى عنه من فعل المحرمات والابتعاد عنها خوف الوقوع فيها .
"والتزام تقوى الله معوان على الكمالات في التصرفات الدينية والدنيوية على حد سواء"(إبراهيم ، ١٩٩٠ م : ص ٤٤) .

وهذا المفهوم للتقوى يُدلل على معنى تربوي كبير ، وهو عبارة عن شعور بالخوف والوجل من الوقوع في المحرمات ، والذي بهذا المدلول يُهذب سلوك الفرد المسلم من خلال فعل الطاعات لله والتقرب له مع البعد عن المحرمات التي تضر بالإنسان ، وهذا يتحقق من خلال أفعال العبد لممارسته الحياة في الدنيا .

ثانياً : الدلالات التربوية لحقيقة التقوى

التقوى هي منهج سلوكي يقوم على عوامل ضبط النفس من الوقوع في المعاصي والاعتداء على حرمان الله ، فهي منهج تربوي كامل يجعل النفس دائماً متيقظة مراقبة لأعمالها تأكيداً لقول الله عز وجل : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(ق ، آية : ١٨) .

فالتقوى بمعانيها وحقيقتها لها مدلول تربوي كبير تجعل الإنسان في حالة خوف ومراقبة شديدة في سلوكه وفي تصرفاته ، وهي بمثابة شعور وإحساس إيماني وروحي تضبط النفس وتحرسه من الوقوع في الهوى والرذيلة لقول الله تعالى : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (الأنعام ، آية : ١٥٣) ، وبذلك نجد هذا المفهوم بمعناه الواسع يؤكد على المراقبة الشعورية للإنسان في جميع أعماله خشية الانزلاق في المنكرات وهذا ما قاله الدكتور القرشي : "التقوى أساساً هي حالة روحية قوامها الاستشعار الدائم بأن الله تعالى رقيب على كل شيء {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} (غافر ، آية : ١٩)" (القرشي ، ب. ت. ص : ٥) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : "المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به" (ابن كثير ، ١٩٩٠م : ٣٨/١) .
 وقال طلق بن حبيب "التقوى : أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله ، تخاف عقاب الله" (السيوطي ، ١٩٩٠م : ٥٧/١) .
 وقال علي رضي الله عنه : "التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل" (الشمي ، ١٩٩٠م : ٥١٩/١) .
 وعن أبي هريرة . أن رجلاً قال له : ما التقوى ؟ قال : "هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟ قال : نعم . قال : فكيف صنعت ؟ قال : إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال : ذلك التقوى" (السيوطي ، ١٩٩٠م : ٥٧/١) .

فالتقوى بهذه المفاهيم والمدلولات تقوم في جوهرها على الحذر والاجتناب للمعاصي والردائل في السلوكيات المختلفة للمسلم ، كما أنها تتضمن جانب الفضائل والطاعات العملية الإيجابية ، ويظهر ذلك في كثير من الآيات القرآنية والتي في مجملها تحدثت بها الآية القرآنية في سورة البقرة في قوله تعالى : {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (البقر ، آية : ١٧٧) .

كما أنها تؤكد على العمل الدائم والاستعداد لملاقاة الله بعمل صالح ومراقبة وحذر شديد من الوقوع في الخطأ . وكانت الوصية الأولى بالتقوى من أول وصايا الله تعالى لبني آدم ، قال الله

تعالى : {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ}{الأعراف، آية : ٢٦} .

وقد أوصى الله تعالى الأمة بتقواه والابتعاد عن المحرمات {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}{آل عمران ، آية : ١٠٢} .

وقوله تعالى وصية للأولين والآخرين من عباده : {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا}{النساء، آية : ١٣١} .

وكانت وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لأئمة بالتقوى في كل شيء ، حيث قال أبي أمامة ضري بن عجلان الباهلي رضي الله عنه : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع فقال : اتقوا ربكم وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم"(الترمذي ، ب.ت : ح٦١٦ ، آخر كتاب الصلاة ، ص٧٨) .

وقال السلطان : "عباد الله عليكم بتقوى الله ، فإن تقواه مالها انفصام وقدوة يأتى بها الكرام ، وسراج يضيء للأفهام ، من تعلق بها حمته بإذن الله محذور العاقبة ، ومن تحقق بحملها وقتة بإذن الله شرور كل نائبة"(السلطان ، ١٩٨٢م : ص٣٠) .

وقال عمر بن عبد العزيز : "أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف"(السيوطي ، ١٩٩٠م : ٥٩/١) .

وقال الثوري : "إنما سموا المتقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى"(السيوطي ، ١٩٩٠م : ٥٨/١) .
فالتقوى أم الفضائل وهي عنوان المسلم وطريقه إلى الآخرة إذا سلك هذا السلوك التربوي لجميع أفعاله مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : "لا يأكل طعامك إلا تقي"(أبو داود ، ب.ت : ح٤٨٣٢ ، ص٧٢٥) .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنني أريد سفراً فزودني ، فقال : "زودك الله التقوى"(الترمذي ، ب.ت : ح٣٤٤٤ ، ص٧٨٣) .

وقال القرطبي : "التقوى فيها جماع الخير كله ، وهي وصية الله في الأولين والآخرين وهي خير ما يستفيد منه الإنسان"(القرطبي ، ١٩٨٨م : ٢٠٣/١) .

وقال الإمام النووي : "التقوى كلمة جامعة لفعل الواجبات وترك المنهيات"(النووي ، ١٩٩٠م : ص١٠٠) .

فالتقوى هي الرباط الذي يعقل النفوس عن أن تتطلق حسب رغباتها ووفق هواها ، فهي قيد وثيق محكم لا يستطيع المؤمن أن ينفلت منه إذا كان يخشى الله ويتقيه .
"فالتقوى الحقيقية هي أن يجتهد العبد في ترك الذنوب كلها صغارها وكبارها ، ويجتهد في الطاعات كلها ، الواجبات والنوافل ما استطاع"(فريد ، ١٩٩٣م : ص١٣) .

ثالثاً : فوائد وثمرات التقوى

للتقوى فوائد عظيمة لتربية الإنسان على حب الله وحب الآخرة والجنة ، وذلك من خلال دراسة الآيات القرآنية وحصرها وجد الباحث أن التقوى فيها الكثير من الدلالات التربوية المفيدة للإنسان المسلم وتعديل سلوكه بحيث يكون رجلاً صالحاً في المجتمع يلتزم بما أمر الله به وينتهي عما نهى عنه ، فبذلك يعيش رجلاً مؤمناً تقياً متواضعاً ، فهناك جملة من الفوائد والثمرات التي تترتب على التقوى سواء في الدنيا أو الآخرة عبي النحو التالي :

أ- فوائد التقوى في الدنيا وثمراتها

١- التقوى سبب لتيسير أمور الإنسان

إن التقوى : سبب لتيسير أمور الإنسان ، مصداقاً لقوله تعالى : { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا } (الطلاق ، آية : ٤) ، وقال تعالى : { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى } (الليل ، آية : ٥-٧) .

فإذا كان الإنسان في ضيق وأراد التيسير في أموره فعليه بتقوى الله حتى يجعل كل أموره سهلة ميسرة لا ضيق فيها لقوله تعالى : { ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ } (عبس، آية : ٢٠) ، فاليسر نعمة من الله تعالى يمن الله بها على عباده المؤمنين المتقين .

٢- التقوى سبب في حصول الرزق

فمن يتق الله يجد الرزق والتوسع والخروج من المأزق في الحياة الدنيا ، تصديقاً لقوله تعالى : { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } (الطلاق ، آية : ٢-٣) ، وهذا بعد طلب الحصول على الرزق والسعي للحصول عليه بالعمل وأخذ الأسباب ، وهذا ما أكده الله تعالى : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ نَزُولًا فَاْمَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا } (الملك ، آية : ١٥) ، والرزق يأتي عبر التزام الأمة بالإيمان والتقوى ، ويكون الانفراج والسعة بإذن الله تعالى

لقلوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ﴾{الإعراف ، آية : ٦٩} ، فهذا سبب لحصول الرزق في الحياة الدنيا بسبب التقوى والإيمان .

٣- التقوى سبب لقبول الأعمال الصالحة

فأساس قبول العمل الصالح عند الله هو الإيمان والتقوى تصديقاً لقول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾{مريم ، آية : ٩٦} .

وكذلك فإنها سبب صلاح الأعمال وقبولها ، ومغفرة الذنوب سواء في القول أو العمل ، مما
يُصدقه قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾{الأحزاب ، آية : ٧٠-٧١} .

فكلما كان العمل خالصاً لله تعالى يقبله الله مع مدلولات التقوى التي تجعل المسلم في حالة
ترقب من قبول العمل أو لا ، لكن لا بد من الإخلاص في نية العمل حتى يقبلها الله تعالى ويقدم
أفضل شيء عنده وهو ما أكده الله تعالى : ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ
مِنَ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾{المائدة ، آية : ٢٧} .

٤- التقوى سبب في تسديد العبد وتبصيره بالحق

فالتقوى لها سبب مباشر لتوفيق الإنسان المسلم وإنارة طريقه يوم القيامة مصداقاً لقوله
تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ...﴾{الأنفال ، آية : ٢٩} ، وكذلك قوله
تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا
تَمْشُونَ بِهِ﴾{الحديد ، آية : ٢٨} .

٥- التقوى سبب لحماية الإنسان من الشيطان

وهذا المدلول يجعل الإنسان في حالة ترقب من الوقوع في الخطأ والاستغفار السريع
والإنابة والرجوع عنه ، فقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ
مُبْصِرُونَ﴾{الأعراف ، آية : ٢٠١} .

٦- التقوى سبب لنيل الولاية

فأولياء الله هم المتقون الذين يستحقون هذه المكانة عند الله كما قال تعالى : ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا
الْمُتَّقِينَ﴾{الأنفال، آية: ٣٤} ، وقال تعالى : ﴿وَأِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيٌّ
الْمُتَّقِينَ﴾{الجاثية ، آية : ١٩} . وبذلك يعلم أن هناك ولاية الله للمتقين ، وولاية المؤمنين بعضهم بعضاً
في مقابل ولاية الظاليمين بعضهم بعضاً .

٧- التقوى سبب لعدم الخوف من ضرر وكيد الكافرين

فالتقوى وقاية من الخوف وضرر الأعداء فالمتقي في حالة حصن ورعاية ومكانة عالية وهو معهم في كل مواقعهم سواء في السر والعلن أو أماكن الجهاد أو العمل الدعوي في سبيل الله ، وهذا ما قاله تعالى : {وَأِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} (آل عمران ، آية: ١٢٠) ، وكذلك المعية الإلهية في قوله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} (النحل ، آية : ١٢٨) . وكذلك سبب لنزول المدد من السماء عند الشدائد ، ولقاء الأعداء ، قال تعالى : {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعِيَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ * بَلَى إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُدْعِيكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} (الأعراف ، آية : ١٢٣-١٢٥) .

٨- التقوى سبب للتعاون على الخير وتجنب إيذاء الآخرين

فالتقوى تُعين الإنسان على الخير وتمنعه من العدوان والإيذاء للآخرين لقوله تعالى : {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (المائدة ، آية : ٢) وقوله تعالى في قصة مريم : {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} (مريم ، آية : ١٧-١٨) .

٩- التقوى سبب للتأدب مع رسول الله ، وسواء كان ذلك في حياته ، أو بعد وفاته مصداقاً لقوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى} (الحجرات ، آية : ٢) .

١٢- التقوى تمنع صاحبها من الزيف والضلال بعد أن من الله عليه بالهداية ، قال تعالى : {وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (الأنعام ، آية : ١٥٣) .

١٣- التقوى سبب لنيل رحمة الله ، وهذه الرحمة تكون في الدنيا كما تكون في الآخرة وكذلك العاقبة تكون للمتقين ، قال تعالى : { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} (الأعراف ، آية : ١٥٦) . وقال تعالى : {وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} (طه ، آية : ٤٦) ، وقال تعالى : {وَأِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مَآبٍ} (ص ، آية : ٤٩) وقال تعالى : {إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} (هود ، آية : ٤٩) .

ب- فوائد التقوى في الآخرة وثمراتها

في القرآن الكريم آيات تحدثت عن ثمرات التقوى التربوية في الآخرة تؤثر في سلوك الفرد في حياته اليومية ليعيش على أمل المغفرة والرحمة والطمع في المكانة الطيبة في الجنة وهي:

١- التقوى سبب للإكرام عند الله عز وجل ، قال تعالى : {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (الحجرات ، آية : ١١) .

٢- التقوى سبب للفوز والفلاح ، قال تعالى : { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (النور ، آية : ٥٢) .

٣- التقوى سبب للنجاة يوم القيامة من عذاب الله ، قال تعالى : { وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا } (مريم ، آية : ٧١-٧٢) . وقال تعالى :

{ وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى } (الليل ، آية : ١٧) .

٤- التقوى سبب لقبول الأعمال ، قال تعالى : { إِنَّمَا يَنْتَقِبُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } (المائدة ، آية : ٢٧) . ٥- إن التقوى: سبب قوي لأن يرثوا الجنة ، قال تعالى : { تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا } (مريم ، آية : ٦٣) .

٦- المتقون لهم في الجنة غرف مبنية من فوقها غرف ، قال تعالى : { لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ } (الزمر ، آية : ٢٠) ، وفي الحديث : "إن في الجنة لغرفاً يرى بطونها من ظهورها ، وظهورها من بطونها " فقال أعرابي : لمن هذا يا رسول الله ؟ قال : " لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وصلى بالليل والناس نيام " (حنبل ، ١٩٩٣م : ح ١٣٣٦ ، ص ١/١٩١) .

٧- المتقون يكونون فوق الذين كفروا يوم القيامة في محشرهم ، ومنشرهم ومسيرهم ، ومأواهم ، فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين ، قال تعالى : { زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (البقرة ، آية : ٢١٢) .

٨- التقوى سبب في دخولهم الجنة ، وذلك لأن الجنة أعدت لهم ، قال تعالى : { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } (آل عمران ، آية : ١٣٣) .

٩- التقوى سبب للتكفير من السيئات ، والعتو عن الزلات ، قال تعالى : { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا } (سورة الطلاق: آية ٥) ، وقال تعالى : { لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ } (المائدة ، آية : ٦٥) .

- ١٠- التقوى سبب لنيل ما تشتهيهِ الأنفس ، وتلذ الأعين ، قال تعالى : {جَنَاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ} (النحل ، آية : ٣١) .
- ١١- التقوى سبب لعدم الخوف والحزن وعدم المساس بالسوء يوم القيامة ، قال تعالى : {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (الزمر ، آية : ٦١) ، وقال تعالى : {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} (يونس ، آية : ٦٢-٦٣) .
- ١٢- المتقون يحشرون يوم القيامة وفداً إلى الله تعالى ، والوفد : هم القادمون ركبانا ، وهو خير موفود ، قال تعالى : {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} (مريم ، آية : ٨٥) .
- قال ابن كثير: عن النعمان بن سعيد قال : "كنا جلوساً عند علي فقرأ هذه الآية : {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} قال : لا والله ما على أرجلهم يحشرون ، ولا يحشر الوفد على أرجلهم ، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها ، عليها رحائل من ذهب ، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة" (حنبل ، ١٩٩٣ م : ح ١٣٣١ ، ص ١/١٩١) .
- ١٣- الجنة تقرب لهم ، قال تعالى : {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ} (الشعراء ، آية : ٩٠) . قال تعالى : {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ} (ق ، آية : ٢١) .
- ١٤- إن كل صحبة وصدقة لغير الله فإنها تتقلب يوم القيامة إلى عداوة إلا صحبة المتقين ، قال تعالى : {الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} (الزخرف ، آية : ٦٧) .
- ١٥- إن لهم مقاماً أميناً وجناتٍ وعيوناً ، كما قال تعالى : {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتْقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يُدْفِقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (الدخان ، آية : ٥١-٥٦) . وإن لهم مقعد صدق عند مليك مقتدر ، قال تعالى : {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ} (القمر ، آية : ٥٤-٥٥) .
- ١٦- التقوى سبب في ورود الأنهار المختلفة ، فهذا نهر من ماء غير آسن ، وذلك نهر من لبن لم يتغير طعمه ، وآخر من خمر لذة الشاربين ، قال تعالى : {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ} (محمد ، آية : ١٥) .
- ١٧- التقوى سبب المسير تحت أشجار الجنة ، والتنعم بظلالها ، قال تعالى : {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (المرسلات ، آية : ٤١-٤٣) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله : " إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها" (مسلم ، ٢٠٠٢ م : ح ٢٨٢٨ ، ص ١٤٧٣) .

١٩- إن لهم البشري في الآخرة بألا يحزنهم الفزع الأكبر، وتلقى الملائكة لهم ، قال تعالى : {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} (يونس ، آية : ٦٢-٦٤) .

رابعاً : سبل تنمية وتحقيق التقوى

التقوى هي الرباط الذي يعقل النفوس عن أن تتطلق حسب رغباتها ووفق هواها ، فهي قيد وثيق محكم لا يستطيع المؤمن أن يتفلسف منه إذا كان يخشى الله ويتقيه .

والتقوى ضابط أساسي من ضوابط السلوك الإنساني جميعه في مضمار هذه الحياة لأنها في حقيقتها مراقبة الله والحرص على مرضاته والخوف من عذابه .

يقول المسيميري : "إذا فالتقوى : حساسية في الضمير ، وشفافية في الشعور ، وخشية مستمرة ، حذر دائم ، وتوق لأشواق طريق الحياة الذي تتجاذبه أشواق الرغائب والشهوات ، وأشواق المخاوف والهواجس ، وأشواق الفتن والموبقات ، وأشواق الرجاء الكاذب . فيمن لا يملك إجابته الرجاء ، وأشواق الخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً ، وعشرات غيرها من الأشواق" (المسيميري ، ٢٠٠٦ م) .

بهذه المفاهيم التربوية ، لا بد لنا حتى نتحصل على التقوى وكيفية الوصول إلى درجات التقوى يجب علينا أن نشير إلى أن التقوى هي معنى شامل وعام وهو المحافظة على آداب الشريعة بكل دقة وأمانة . ورعاية قوانين الشريعة الفطرية ، وكذلك وقاية الإنسان سره وخفيه وأخفاه من الشرك وكل ما يُشتم منه الشرك عند كل سلوك يؤدي به إلى جهنم ، أو كل عمل يثمر ثماراً في الجنة ، وإلى الوقاية من التشبه بالآخرين في التفكير وطرز الحياة .

وبهذا المعنى الواسع جداً تصبح التقوى هي المصدر الوحيد لقيمة الإنسان وكرامته ، وقد أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى : {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (الحجرات ، آية : ١٣) .

يقول السبيل : "فبتحقيق التقوى يحصل للمؤمن كل خير في دينه ودنياه ، ويزول عنه كل شر في عاجله وآجله ، فمن استقام على التقوى ولزم في منطقه القول السديد هداه الله إلى الطيب من القول ، ووقفه إلى صراطه الحميد . من اتقى الله واستعمل لسانه بالكلم الطيب من تلاوة القرآن وذكر الله عز وجل ، والتوبة والاستغفار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحفظ لسانه عما

حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ ، فَكَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ ، وَعَنْ فَاحِشِ الْقَوْلِ وَسَيِّئِهِ ، يَسِّرَهُ اللهُ لِلْيَسْرَى ، وَجَنَّبَهُ الْعَسْرَى ، وَرَزَقَهُ الْحَسَنَى ، وَأَمَّنَّهُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى" (السييل ، ٢٠٠١م) .

والتقوى أفضل عمل عند الله سبحانه وتعالى ، والمتقون هم أكرم عباده وأنزههم ، والفرقان البديع البيان هو أصفى بيان للمتقين وأنزه دعوة للتقوى ، وعباد الله المتقون يتزودون دوماً من القرآن وبرؤية الرضوان في الآخرة .

فالتقوى أساس العبادة والطاعة ، وشعور ثابت في القلب والضمير ، بحيث تواجه الذنوب والمشتبهات وتعود النفس على الامتثال لمنهج الله تعالى ، يقول حوى : "والحقيقة أن التقوى ملكة في القلب ، فإذا ما استقرت هذه الملكة في القلب نتج عنها سلوك الجسد على منهاج الله عز وجل" (حوى ، ١٩٨٠م : ص ٢٦٩) .

ويمكننا أن نتحصّل على التقوى بطرق مختلفة تصل بنا إلى سلوك طيب ومعتدل في المعاملة وتربية النفس على طاعة الله ، ومن هذه الوسائل هي :

الوسيلة الأولى : الإيمان بالله تعالى والإخلاص في عبادته

فلا بد من الالتزام بقيمة العبادة التي تُربي الإنسان على الأخلاق الطيبة حتى يُدرك مفهوم الحياة التي خُلق من أجلها ، وهي العبادة في جميع نواحي الحياة لقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالنَّاسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ، آية : ٥٦) . وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة ، آية : ٢١) .

فهذا طريق إلى التقوى بالالتزام بالعبادات المختلفة للتقرب إلى الله ، "إن الذي يُريد أن يسير إلى التقوى عليه أن يعرف الله ، ثم يُقبل عليه بعمل الفرائض والإكثار من النوافل ، وليحاسب نفسه حساباً متواصلاً ، فلعله مفرط في فريضة ظاهرة أو باطنة ... إن المربين عليهم ألا يغفلوا عن هذا الموضوع لما يترتب عليه من صلاح وإصلاح ، خاصة إذا رافق الاعتكاف برنامج مليء بالعلم والذكر والعبادة والتفكير والتذكر" (حوى ، ١٩٨٠م : ص ٢٩١) . فهذا طريق مهم لتحقيق التقوى الباطنة والظاهرة في نفس المؤمن وتربيته على هذا السلوك.

الوسيلة الثانية : المحافظة على تلاوة القرآن والعمل به

فالقرآن أصل الطريق المستقيم للوصول إلى التقوى على أساس تربية النفس على التلاوة والتعبد به ، حيث قال الله عز وجل : ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (طه ، آية : ١١٣) . وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس ، آية : ٥٧) .

في هذه الآيات طريق واضح لتحقيق التقوى في نفس المؤمن من خلال التعبد والتلاوة والذكر ، قال سعيد حوى : "إن تلاوة كتاب الله عز وجل مع التدبر طريق يُوصل إلى التقوى {لعلهم ينتقون} مع الإيمان أولاً" (حوى ، ١٩٨٠م : ص ٢٧٠) .
لذلك لا بد من التعود على التلاوة اليومية حتى يزرع الإيمان والخشية في القلب وتربية روحه على العبادة الخاصة .

الوسيلة الثالثة : مجاهدة النفس بامتثال أوامر الله عز وجل ، والافتتاع الكامل بعظمة الخالق ،
وأنه بيده ملكوت كل شيء ، فلا بد من مجاهدة النفس حتى تتحقق قيمة التقوى في نفس المؤمن قولاً وعملاً لقول الله تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}** (العنكبوت ، آية : ٦٩) . **وقوله تعالى : { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ }** (محمد ، آية ١٧) .

قال سعيد حوى : "فالمجاهدة للوصول إلى الهداية مقيدة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأي خروج بالمجاهدة عن هذا المفهوم خروج عنها نفسها" (حوى، ١٩٨٠م: ص ٢٧٥) .
وقال عليه السلام : "من رغب عن سنتي فليس مني" (الدارمي ، ٢٠٠٠م : ح ٢١٦٩ ، ص ٦١٤) .
فلا بد من تدريب النفس وتربيتها على المجاهدة ومقاومة الشهوات الفاسدة ليصل بها إلى التقوى والخشية من الله .

فقد سأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص : أي المجاهدين أفضل ؟ قال : "من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل" (الألباني ، ١٩٧٩م : ٤٧٨/٣) .

"فلا بد من بذل الجهد للتغلب على هوى النفس حتى ينسجم مع التكليف" (حوى، ١٩٨٠م: ص ٢٧٥)
فالمجاهدة للنفس وكسر شهواتها في طاعة الله طريق للوصول إلى التقوى حيث قال الله عز وجل: **{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ}** (النازعات، آية : ٤٠-٤١) .

قال سعيد حوى : "فالهدف من المجاهدة الوصول إلى أن يكون قلبنا هو القلب الأول ، وهذا لا يتم لنا إلا إذا قطعنا مدد القبح والدم عن قلوبنا ، والذي هو عبارة عن الآثار السيئة الظلامية التي يتركها الذنب في القلب" (حوى ، ١٩٨٠م : ص ٢٧٤) .

ولا بد من اعتماد الصلوات والآداب والنوافل وتركية النفس حتى يصل إلى مرتبة المجاهدة للنفس .

"وأهم أنواع المجاهدة ما يُخرجنا به الله من الظلمات إلى النور ، ومن أهم ذلك : الصلاة جماعة ، وكثرة الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصبر ، ثم الذكر الدائم لله ،

والعمل بما أمر واجتنب ما نهى ، حتى ترسخ ملكة التقوى فيُصبح العمل عادة ، والسلوك السليم عفواً ، كما يُصبح القلب حياً" (حوى ، ١٩٨٠ م : ص ٢٧٦) .

الوسيلة الرابعة : المحافظة على الفرائض والإكثار من النوافل

فإن المحافظة على الفرائض يُعتبر عملاً مهماً لحياة المسلم فيتربى على السلوك الحسن والتقوى والإيمان حتى يصل إلى محبة الله تعالى له مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي ، قال الله تعالى : "وما تقرّب إلى عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه" (ابن حبان ، ١٩٨٧ م : ح ٣٤٨ ، ٢٨٠/١) .
فهذا يُدلّل أن المحافظة على النوافل وزيادة العمل بطاعة الله تُحقق التقوى في النفس .

الوسيلة الخامسة : التوكل على الله واليقين أن كل شيء من الله

إن التوكل على الله ثمرة طيبة تُحقق التقوى لقول الله تعالى : {...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} (الطلاق ، آية ٢) . وقوله تعالى : {...وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} (الطلاق ، آية ٣) .

فهذا طريق يُحقق ثمرة التقوى في النفس ويصل بها إلى درجات الإيمان ، ويُزكي نفسه على الامتثال لأوامر الله تعالى .

والخلاصة التي نجدتها في سبل تحقيق التقوى للسلوك الإنساني لتربيته على الإيمان وطاعة الله هو الذي يسلك طرق الخير وطرق الإيمان والاستعداد للقاء الله عز وجل ، والعمل على تحقيق الشعور الذاتي لمراقبة الله تعالى في حين ، وفي كل مكان .

الفصل الثالث

الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الإيماني

- تمهيد

أولاً : الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في مجال الإيمان بالله عز وجل

- أ- الإيمان بقدرة الله تعالى في الكون
- ب- تدبر إبداع الخالق من خلال الآيات الكونية
- ج- تحقيق ولاية الله للمتقين

ثانياً - الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في مجال الإيمان باليوم الآخر

- أ- دلائل التقوى التربوية في يوم زلزلة الساعة
- ب- دلائل التقوى التربوية في يوم الحشر
- ج- دلائل التقوى التربوية في يوم العذاب

ثالثاً- الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في مجال استشعار مراقبة الله وخشيته

- أ- مراقبة الله في السر والعلن
- ب- محاسبة النفس
- ج- خشية الله

الدلالات التربوية لمفهوم التقوى

في المجال الإيماني

تمهيد

إن التربية الإيمانية لدى المسلم له دلالات معنوية وإيمانية لإحياء روح الإيمان في قلب المسلم ويتبع ذلك إحساس شعوري في قلب المؤمن من مراقبة لأعماله وسلوكه .
فالإيمان طريق المسلم إلى التقوى والذي له دور فاعل في تحقيق القول والعمل والسلوك حتى يتطابق القول مع العمل وهذا ما أكدته الله عز وجل في قوله تعالى : {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل ، آية : ٩٧) . فهذا دليل واضح على أنه من عمل صالحاً وهو في درجة الإيمان له آثار طيبة في الدنيا والآخرة .

فالإسلام هو مفهوم شامل للعقائد والعبادات وأنظمة الحياة والتي أكد الله بقوله : {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (الحجرات ، آية : ١٤) ، فهذا لا يُدرك إلا بالقيام بالأعمال السابقة لتوصله إلى الإيمان بالعمل المستمر الذي يؤهله إلى درجة الإيمان والعبادة الخالصة لله .. فإذا استطاع الإنسان الوصول إلى الإيمان القلبي العملي والذي هو من مقامات السير إلى الله ، فيزداد الإيمان له ، وعند ذلك يصل إلى مقامات الإحسان الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم : "أن تعبد الله كأنك تراه" (مسلم ، ٢٠٠٢م ، ح ٨ : ص ٢٩) .

فمقام الإحسان هو ذروة الإيمان الذي يُحقق المراقبة في كل شيء يصل به إلى مدلول التقوى ومفهومها في قلب المسلم ، وهذا من مقامات الشكر لله تعالى ، والتي هي أعلى مقامات التقوى .

فالإيمان حقيقة تجمع ثلاث أشياء : "تحقيق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بحسب ذلك الجوارح ، ويُقال لكل واحد من الاعتقاد والصدق والعمل الصالح إيمان" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ٢٩) ، وقد تحدثت آيات كثيرة عن مفهوم الإيمان لهذه الجزئيات الثلاثة في قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} (الكهف، آية : ٣٠) .

وقال القاضي الدمشقي : "أنه الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان" (الدمشقي ، ١٩٩٣م : ٤٥٩) .
فالعقائد الخالصة لله تعالى من مقامات المتقين السالكين إلى طريق الجنة ، فلا بد من معرفة حقيقية للعبادة الشاملة للمسلم ، والذي بدورها تهذب سلوكه ومعاملاته .

يقول الدكتور عمارة : "ولكن عندما يُوضع ذلك الإيمان على محك التجربة .. عندما يُستفتى عليه كأمانة في المتجر .. وجودة في المصنع .. وإخلاص في الدرس .. وتوضيحية في الأزمات .. سوف تنحسر النسبة نحو الصفر .. إن لم تكنه !! ومن أجل ذلك يأمرنا الحق سبحانه وتعالى بالتقوى .. كوظيفة لإيمان يتحرك بها الإنسان .. ليتحول بالتقوى من شعاع خافت .. وذبالة تتراقص .. إلى قوة بانية محرّكة.." (عمارة ، ١٩٨١م ، ص١٦) .

فمن خلال ما سبق يظهر أن الدلالات التربوية للتقوى في الجانب الإيماني يكون في المجالات التالية :

أولاً : الدلالات التربوية للتقوى في مجال الإيمان بالله عز وجل

إن الإيمان بالله هو أصل من أصول العقيدة في الإسلام ، فالمعرفة بالله حقيقة تجعل في الإنسان كثيراً من جوانب الخير والتي تتأى به عن مساوئ الأعمال .
فالقوة الروحية للإيمان بالله واتصاله به سبحانه وتعالى تجعل الإنسان يشعر بقيمته الإنسانية كمسلم في مجتمع إسلامي والتي بدورها تهدم الكثير من السلبيات من خداع ونفاق وكذب ، فلا من تطابق القول والعمل في الإيمان للمسلم .

فالفرد المؤمن بالله مع حقيقة التقوى ، والتي هي من أهم الطرق الموصلة لتعميق الإيمان بالله عز وجل ، وذلك أن من فهم وعرف الله عز وجل بصفاته وأفعاله يبتعد عن معاصي الله والعمل بما أمر به .

وتتحقق دلائل التقوى في قلوب المؤمنين بالتالي :

أ- الإيمان بقدرة الله تعالى في الكون

فمن ذلك نجد دلائل الإيمان بالله تعالى هو وجوده في كل مخلوق مما يدل على أن الله خالق هذا الكون والمتصرف فيه ، فكلما تأملت هذا الكون وإبداعه في الخلق والهندسة الدقيقة نجد برهان جديد يُشير إلى هذا الخالق العظيم . فهو من الدلالات التربوية القوية لوجوده في هذا الكون يجعل في قلب المسلم عمق إيماني وسلوك تربوي يُحقق المراقبة له ، ونجد ذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس ، آية : ٣١) .

وهذا مما يحقق الدليل التربوي لمفهوم التقوى في قلب المؤمن ويُعمق حب الله له حتى يلتزم

بأمره .

يقول الطبري في قوله تعالى : **{فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}** يقول : "أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وادعائكم رباً غيره من هذه الصفة صفته، وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيئاً ولا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً ولا يفعل فعلاً" (الطبري ، ١٩٨٨ م : ٥٥٨/٦).

فهذا دليل إيماني كبير على معرفة قدرة الله في الرزق وأنه بيده السمع والأبصار وهو الذي يُحي ويميت ، وهو الذي يُدبر الأمر ، فمن خلال قدرته على هذا ومعرفة الإنسان بهذه الحقيقة دليل تربوي لتقواه وخوفه والعمل على الالتزام بشريعته .

قال أبو السعود : "فإن الإيمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتهاز عما نهى عنه" (أبو السعود ، ١٩٩٤ م : ٧٤/٣) .

وهذه المعاني أكدت على قيمة الإيمان بالله بالتقوى والعمل الصالح ، بحيث يكون الإيمان بالله تعالى بهذا المفهوم لهو دليل تربوي في تعميق جانب أكثر فاعلية ، هو أنه من عرف الله تعالى بصفاته وأفعاله ومخلوقاته كان أكثر خوفاً منه وأكثر بعداً عن المعاصي ومما يُغضب الله تعالى وأكثر التزاماً بأوامره .

إن قوة وعمق الإيمان بالله عز وجل تجعل المؤمن يشعر بمراقبة الله وأنه في رعايته وعنايته ، وهذا ما أوضحه الله عز وجل في قوله : **{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}** (المائدة ، آية : ٨٨) ، يؤكد دور الإيمان مع التقوى بحيث يزيد في عمق الشعور بالإيمان الذي يوصل إلى التقوى .

ب- تدبر إبداع الخالق من خلال الآيات الكونية

وهناك جانب مهم في الدلالة الإيمانية على قدرة الله تعالى في خلقه التي تُوجب العبادة له من خلال الإشارة إلى الآيات الدالة على قدرته في الكون مما يجدد مداخل الشعور بعظمة الله التي تُؤثر في النفس والسلوك الإنساني ليكون مرتبطاً بتقوى الله من خلال هذه الإشارات القرآنية ، يقول الله تعالى : **{إِنَّ فِي اخْتِلَافِ أَلْيَلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ}** (يونس ، آية : ٦) ، تبين المقدره الإلهية في هذا الكون وإبداعه في خلقه آيات عظيمة دلالة على التقوى .

يقول الطبري : "فإن قال قائل : أو لا دلالة فيما خلق الله في السموات والأرض على صانعه إلا لمن اتقى الله ؟ قيل : في ذلك الدلالة الواضحة على صانعه لكل من صحت فطرته ، وبريء من العاهات قلبه، ولم يقصد بذلك الخبر عن أن فيه الدلالة لمن كان قد أشعر نفسه تقوى الله، وإنما معناه : إن في ذلك لآيات لمن اتقى عقاب الله فلم يحملها هواه على خلاف ما وضح له

من الحقّ ، لأن ذلك يدلّ كلّ ذي فطرة صحيحة على أن له مدبراً يستحقّ عليه الإذعان له بالعبودية دون ما سواه من الآلهة والأنداد" (الطبري، ٩٩٢م : ص ٥٣٣/٦) .

وقال ابن عاشور : "وجعلت الآيات هنا لقوم يتقون ؛ لأن السياق هنا تعريض بالمشركين الذين لم يهتدوا بالآيات ليعلموا أن بعدهم عن التقوى هو سبب حرمانهم من الانتفاع بالآيات ، وأن نفعها حاصل للذين لا يتقون أي يحذرون الضلال ، فالمتقون هم المتصفون باتقاء ما يُوقع في الخسران فيبيعهم على تطلب أسباب النجاح فتوجه الفكر إلى النظر والاستدلال بالدلائل" (ابن عاشور ، ب.ت : ٩٨/٦) .

ج- تحقيق ولاية الله للمتقين

وتتحقق هذه الولاية والعناية لعباده المؤمنين المتقين من خلال قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾ (يونس ، آية : ٦٢-٦٣) .
وهذه الولاية من الله لعباده تتجلى من خلال محبته لهم ودليل على هذه المحبة لهم أنهم يتقون الله تعالى في كل أمر .

قال القاسمي : "أي يخافون ربهم ، فيفعلون أوامره ، ويتجنبون مناهيه من الشرك والكفر والفواحش ، هم الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى المفضين إلى كل خير ، المجنبيين عن كل شر" (القاسمي ، ٢٠٠٣م : ٣٩/٦) .

من خلال هذه التفاسير نجد أن الذين يتقون الله باجتناب معاصيه وعمل الفرائض بأمر الله هم الذين يتولاهم الله ، وهذا دليل على أن التقوى إشارة لولاية الله لهم .

خلاصة :

يظهر لنا مما سبق دلالات وآثار تربوية تترتب على مفهوم التقوى في مجال الإيمان بالله

وهي :

- ١- تجعل الإنسان المسلم يقف سداً منيعاً أمام التيارات المعادية للإسلام والثبات أمامها.
- ٢- اطمئنان المؤمن لقدرة الله عز وجل تجعل ضميره يقظاً خائفاً مما يُساعده على الالتزام بأمره في جميع أعماله .
- ٣- تجعل مواقف المسلم بقيمة الإيمان بالله شامخة أمام الأعداء لا يخاف في الله لومة لائم لأنه اعتمد على الحي القيوم .

٤- تجعل في نفسية المعلم قدوة للمتعلمين إذا التزم تقوى الله في عمله وراقبه ، مما يجعل المتعلم يلتزم طريق معلمه ، وهذا أسلوب تربوي قوي يجعل الجيل الناشئ ذات شوكة إيمانية .

من هذا المنطلق لا بد للمربي أن يجعل من هذه الدلائل أسلوباً تربوياً لتقوية الإيمان لدى المتعلم ، بحيث يرشده إلى الإيمان بالله وقدرته المعجزة وإبداعه الرائع عن طريق التفكير والتأمل في خلق السموات والأرض ، وذلك في سن الإدراك والتمييز ، ويحسن أن يتدرج معهم من المحسوس إلى المعقول ومن الجزئي إلى الكلي ومن البسيط إلى المركب حتى يصل معهم في نهاية الشوط إلى قضية الإيمان عن اقتناع وحجة وبرهان .

من هنا نجد الأدلة السابقة تُعطينا دلائل واضحة لقيمة الإيمان بالله تعالى من حيث الخوف والعمل وإعمال الجوارح تطبيقاً لأمره سبحانه وتعالى ، ولا يكون هذا إلا عبر وسائل تربوية لسلوكيات المسلم .

فالمسلم يحتاج دائماً إلى تذكير وضمير يُحرّكه إلى التقوى ، فمعرفته بالله وقدرته يُعتبر تأكيداً لإحياء ضميره وعدم فعل المحرمات اتقاء عذابه ..

ثانياً : الدلالات التربوية للتقوى في مجال الإيمان باليوم الآخر

"والإيمان باليوم الآخر من أهم أركان العقيدة الإسلامية بعد الإيمان بالله تعالى ، كما ورد في الحديث النبوي في حديث جبريل : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقضار والقدر خيره وشره"(أبي داود ، بت : ح ٤٦٩٥ ، ص ٧٠٤) .

لما كان الإيمان باليوم الآخر أحد أصول الإيمان الستة التي لا يصح إيمان مسلم بدونها ، ولما لذلك الإيمان من أثر في حياة المسلم وطاعته لأوامر الله عز وجل واجتناب نواهيه ، ولما له من أثر في صلاح القلوب وصلاح الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، ولما في نسيان ذلك اليوم العظيم والغفلة عنه من خطر على حياة الناس ومصيرهم . فلا غرابة إذن أن يرد ذكر هذا اليوم كثيراً في القرآن ، حتى لا تكاد تخلو منه صفحة من صفحاته .

وحتى نستطيع تعميق التقوى بالإيمان باليوم الآخر والاستفادة من آثارها التربوية لا بد لنا من الحديث عن هذا اليوم وأفكاره من قوله تعالى في الآية القرآنية حيث قال الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(البقرة ، آية : ٢٨١) .

قال حجازي : "واتقوا يوماً تتركون فيه الدنيا وزخارفها ومشاعلها وترجعون إلى الله ، فيشغل بالكم وتفكيركم ، في هذا اليوم العصيب تُوفى كل نفس ما كسبت من خير أو شر وتوضع الموازين فلا تُظلم نفس شيئاً"(حجازي ، ١٩٦٩م : ٢٦/١) .

وقد خص القرآن الكريم بعض مشاهد اليوم الآخر الذي يُورث في النفس التقوى ويُربي النفس ويُزكيها على مواصلة العمل الصالح والبعد عن المعاصي ، وذلك لما يحدث فيه من هول عظيم تشيب لهوله الولدان ومن هذه الدلائل :-

أ- دلائل التقوى التربوية في يوم زلزلة الساعة

إن يوم الزلزلة لعظيم حيث يتغير نظام الكون بأجمعه ، حيث يذهب الله بالسماء والأرض كما تحدث في قوله تعالى : {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} (الأنبياء ، آية : ١٠٤) ، وقوله تعالى : {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} (سورة ، إبراهيم ، ٤٨) .

وفي ذلك الموقف الرهيب من تغيرات الكون يكون موقف الإنسان شاخصاً ، فهذا يُعطي للقلب صحوه تربوية تجعله يُعد لذلك الموقف حتى ينجو من هذا الموقف ، وكان المشهد التربوي ليوم الزلزلة في قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} (سورة ، الحج ، آية ١-٢) .

قال الألوسي : "إن الساعة شيء عظيم ، وتعليل لموجب الأمر بذكر أمر هائل ، فإن ملاحظة ذلك وهوله وفضاعة ما هو مباديه ومقدماته من الأحوال والأهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرج بلباس التقوى" (الألوسي ، ب.ت : ١٠/١٦٤) .

وقال ابن عاشور : "والتعليل يقتضي أن لزلزلة الساعة أثراً في الأمر بالتقوى ، وهو وقت لحصول الجزاء على التقوى وعلى العصيان" (ابن عاشور ، ب.ت : ٨/١٨٨) .

في هذا الموقف وهذه الزلزلة الرهيبة يدل على أن النجاة والتشمير لذلك اليوم من دواعي العمل للنفس وتركيتها وتربيتها على الإيمان والعمل الصالح ، وهي من مفاهيم التقوى التربوية لسلوك النفس وتربيته على طاعة الله .

ب- دلائل التقوى التربوية في يوم الحشر

إن أمر الحشر يوم القيامة له أهوال عظيمة جداً تحدث بصورة تُؤثر على النفس الإيمانية ، فيوم الحشر يكون حسب عمل الإنسان في الدنيا ، "فالأهوال تكون على الكافرين والمنافقين جسيمة وعلى العصاة حسب عصيانهم ، إلا أن المتقين يكونون مكرمين في ذلك اليوم" (الأطرش ، ٢٠٠٢ م : ص ٣٧) .

ولقد سمّي الله يوم القيامة بيوم الجمع ؛ لأن الله يجمع العباد فيه جميعاً ، قال تعالى : **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ}** (هود ، آية : ١٠٣) ، وقال تعالى : **{وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَجْدَادًا}** (الكهف ، آية : ٤٧) .

فهذه النصوص بعمومها تدل على حشر الخلق جميعاً الإنس والجن والملائكة ، ويُحشر العباد حفاة عُراة غُرلاً أي : غير مختونين ، قال ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : **"إنكم محشورون حفاة عُراة غُرلاً"** ثم قرأ : **{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}** (الأنبياء ، آية : ١٠٤) (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح ٢٨٥٩ ، ص ١٤٨٤) .

من خلال هذه المواقف للحشر والتي ذكرت في الآيات القرآنية والسنة ، وما كان من شدة على الكافرين وسهولة على المتقين المؤمنين ، وما أكرم الله به هؤلاء في ذلك اليوم ؛ فإنها ذات دلالات باعثة على تقوى الله حتى ينال المؤمن الذي يعد نفسه لذلك اليوم ويُحشر مع المتقين كما قال الله تعالى : **{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا}** (مريم ، آية : ٨٥) .

يقول بعض المفسرين في هذه الآية : **"يُخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوهم فيما أخبروهم وأطاعوهم فيما أمروهم به وانتهوا عما عنه زجروهم أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه والوفد هم القادمون ركبانا ومنه الوفود وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه"** (ابن كثير ، ١٩٩٠م : ص ١٣٤) .

وقال الله تعالى **{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ}** (الأنعام ، آية : ٥١) .

قال ابن عاشور : **"{لعلهم يتقون}** ، رجاء مسوق مساق التعليل للأمر بإنذار المؤمنين لأنهم يرجى تقواهم ، بخلاف من لا يؤمنون بالبعث" (ابن عاشور ، ب.ت : ٢٤٥/٧) .

من خلال هذه الدلالات الدالة على الحشر والخوف من ذلك الموقف لا بد للمسلم أن يستعد له بالتقرب لله واتباعه والعمل الدائب لينال الأمن ، وهذه دلالة تربوية نافعة لتربية النفس على خشية الله .

بهذا يظهر بأن هذه الدنيا القصيرة لا بد لكل واحد منا أن يستعد ليوم الحشر العظيم ويأمن نفسه بتقواه والعمل الصالح .

ج- دلائل التقوى التربوية في يوم العذاب

مشهد العذاب شيء عظيم عندما نتأمل ذلك الموقف ، "وكيف يتم تعذيب الكافرين والمنافقين والعصاة ، وكيفية النار التي أعدت لهم ؛ فإن ذلك يكون رادعاً له عن معاصي الله تبارك وتعالى" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ٣٧) .

فتزكية النفس لا بد لها من زاجر ورادع ، ولا يكون إلا بهذه المشاهد التربوية الدالة على الوصول إلى التقوى واتقاء النار ، وذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : "اتقوا النار ولو بشق تمرة" (النسائي ، ب.ت : ح ٢٥٥٢ ، ص ٣٩٧) .

ونرى في صور القرآن عذاباً لهؤلاء الكفرة والعذاب المعد لهم كما قال الله تعالى : ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ (الطلاق ، آية : ١٠) .

قال الألوسي : "أعد الله لهم هذا العذاب ، ليكون لكم ذلك يا أولي الألباب داعياً لتقوى الله تعالى وحذر عقابه" (الألوسي ، ب.ت : ٢٠٩/١٥) .

وموقف العذاب الذي أعد لهؤلاء الكفرة يكون لنا دليلاً للحذر من ذلك الموقف بالتقوى والإيمان والبعد عن عصيانه للوصول إلى جنات النعيم ، وعندما نرى ما أعدده الله لهؤلاء العصاة يكون لنا رادعاً للنفس عن المعصية ، قال الله تعالى : ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ (الزمر ، آية : ١٦) .

قال ابن عاشور : "لأن التخويف مؤذن بأن العذاب أعد لأهل العصيان فناسب أن يعقب بأمر الناس بالتقوى للتفادي من العذاب" (ابن عاشور ، ب.ت : ٣٦٣/١١) .

من خلال هذا الموقف فإن الدلالة التربوية للتقوى تتحقق بالبعد عن المعصية وتزكية النفس وتربيتها على طاعة الله .

خلاصة :

وللإيمان باليوم الآخر آثار ودلالات تربوية تنعكس على نفس المؤمن ، وتظهر في تكوين شخصيته ، وفي شؤون حياته كافة ومن هذه الدلالات والفوائد التربوية هي :

١- تجعل المسلم بهذه المواقف أن يستعد لها ويُدرب نفسه على التقوى ويفتح له باب الخوف والرجاء .

٢- تربي في نفس المعلم والمتعلم أن يستيقظ ضميره مستعداً للنجاة من ذلك الموقف بالعمل على طاعة الله .

٣- الإيمان باليوم الآخر يبعث في نفس المؤمن الشعور بالمسؤولية . فالمؤمن الذي تعمق في قلبه الإيمان بالله واليوم الآخر يشعرُ بتمام المسؤولية عن أعماله ، فالملائكة الحَفَظَة يكتبون ، ويوم الحساب والجزاء قادمٌ لا محالة ، والوقوف بين يدي الله عزّ وجلّ كائن .

٤- تحقيق الأخلاق الفاضلة في سلوكنا وحياتنا تحقيقاً فعلياً ثابتاً غير متقلّب ، بلا نفاق ولا رياء ولا يكون ذلك إلا نتيجة للإيمان باليوم الآخر ، فالحلم والأناة ، والتّضحية والصّبر ، والعطف والرّحمة ، كلّ ذلك يتحلّى به المؤمن لأنّه ينتظر جزاءه عند الله ، وينتظر أجره عليه يوم الحساب .

٥- الزهد في الدنيا ، وذلك حين يعلم المسلم حق العلم أن وراء هذه الدنيا داراً أخرى يحصل فيها الجزاء والحساب ، وفيها المنتهى إما إلى الجنة أو النار فتزهد نفسه في هذه الدنيا المليئة بالمكدرات والمشاق .

٦- الرغبة في فعل الطاعات والحرص عليها رجاء ثواب ذلك اليوم .

٧- تسليّة المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها .

من هذا المنطلق يجب على المربي أن يستغل هذه الدلائل التربوية لتقوية نموذج الإيمان لكي يستعد للوقوف شامخاً في هذا الموقف عندما يربي نفسه على الإيمان والتقوى ، فيرى عذاب الكافرين ومكانهم فيطمئن لمكانه في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

ثالثاً : الدلالات التربوية للتقوى في مجال استشعار مراقبة الله وخشيته

مراقبة الله تعالى وخشيته عنصر أساسي في تربية النفس لصدها عن المعاصي وضبط السلوك عن الانحراف ، ويجب أن تتحقق هذه المراقبة في القلب كاملاً حتى وكأنه يرى الله مراقباً لكل أعماله وكيانه وهمسه وحركته ، وهذا ينطبق في الحديث : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ص ٣٠) .

لذا فهذه الخصلة ذات مدلول تربوي ودليلاً قوياً لتعبئة النفس بالإيمان والشعور بالمسؤولية أمام الله ، بحيث تحت النفس على طاعة الله واتقاء معصيته ، وتمكين دور الخوف والرجاء في النفس ، وهناك مجالات ودلالات تربوية متعددة في استشعار مراقبة الله وخشيته وهي :

أ- مراقبة الله في السر والعلن

إن مراقبة الله تتحقق من خلال تذكر الآخرة ، وتذكر أن الله عليم خبير بكل شيء لقول الله عز وجل : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (النساء ، آية : ١) .

ومعنى المراقبة كما قال الجزائري : "وهي أن يأخذ المسلم نفسه بمراقبة الله تبارك وتعالى ويُلزمها إياها في كل لحظة من لحظات الحياة حتى يتم لها اليقين بأن الله مطلع عليها"(الجزائري ، ١٩٧٦م : ص ٨٤) .

ولا يكون تحقيق المراقبة إلا بالتربية للنفس على هذا السلوك الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : "اتق الله حيثما كنت"(الدارمي ، ٢٠٠٠م : ح ١٩٨٧، ص ٢٠٩) ، وهذا سلوك المتقين الذين انتهجوا هذا السلوك التربوي للنفس .

"واعلم : أنك بمراقبتك لله تعالى ستصل إلى درجة العارفين : التي إن وصلت إليها كنت من أسعد السعداء في الدنيا والآخرة"(العفيفي ، ١٩٨١م : ١/١٩٥) .

ويتحقق هذا الهدف للمراقبة لسلوك المتقين من خلال الشعور الذاتي أن الله تعالى مراقب لك ، قال الله تعالى : **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}**(الأعراف ، آية : ٢٠١) .

ويقول ابن كثير : "يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر، وتركوا ما عنه زجر : أنهم **{إِذَا مَسَّهُمْ} أي : أصابهم طيف .** وقرأ الآخرون: طائف ، وقد جاء فيه حديث وهما قراءتان مشهورتان ، فقيل : بمعنى واحد، وقيل : بينهما فرق ، ومنهم من فسر ذلك بالغضب ، ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه ، ومنهم من فسره بالهم بالذنب ، ومنهم من فسره بإصابة الذنب ، وقوله : **{تَذَكَّرُوا}** أي : عقاب الله وجزيل ثوابه ووعدده ، ووعيده فتأبوا وأنابوا واستعاذوا بالله ، ورجعوا إليه من قريب **{فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}** أي : قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه " (ابن كثير ، ١٩٩٠م : ٢/٢٦٧) .

لهذا فالتقوى تؤكد على مراقبة الله في نواحي كثيرة من سلوكيات الإنسان المسلم ؛ لأن تحقيق ذلك لا يكون إلا عبر قوله تعالى : **{مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}**(ق، آية : ١٨) .

فمن خلال هذا التوجه للمراقبة نجد ذلك قد تحقق في يوسف عليه السلام في قوله تعالى : **{مَعَاذَ اللَّهِ} ، وهذا يجعل الإنسان في مراقبة دائمة وخوف مستمر يربي النفس على تقوى الله عز وجل ، لذلك نرى يوسف عليه السلام عندما قال في قوله تعالى : {وَرَأَوْتَهُ فِي بَيْتِهَا عَنِ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}**(يوسف : ٢٣) ، حيث اجتمع ليوسف كل دواعي الفاحشة حيث أنه كان شاباً ، وفي الشباب ما فيه ، وبعد أن غلقت الأبواب وعرضت عليه الفاحشة قال : **{مَعَاذَ اللَّهِ}**" (ابن كثير ، ١٩٩٠م : ٤/٣٧١) .

لذا فالتربية بالمراقبة لها دور عظيم مما جعل ابن المبارك يقول لرجل يوصيه : "راقب الله يا فلان ، فسأله : ما المراقبة ؟ قال : كن أبداً كأنك ترى الله جل في علاه" (الجزائري ، ١٩٧٦م : ص ٨٥) .

وهذا عبد الله بن دينار يقول : خرجت مع عمر بن الخطاب إلى مكة ، فعرسنا ببعض الطريق ، فأنحدر علينا راع من الجبل ، فقال له عمر : يا راعي الغنم بعنا شاة من هذه الأغنام ، فقال الراعي : إنه مملوك ، فقال له عمر : قل لسيدك أكلها الذئب ، فقال العبد : فأين الله ؟ فبكى عمر ، وغدا إلى سيد الراعي فاشتراه منه وأعتقه" (ابن الجوزي ، ب.ت : ٣٣٩/١) .

فالمراقبة دليل على معرفة الله تعالى والمراقبة دليل على أنك من الذاكرين ولو لم تذكره ما راقبته سبحانه .

قال أحمد فريد : "ومهما استشعر قلب العبد إطلاع الله عز وجل عليه ومراقبته لأقواله وأفعاله ، فإن هذا من أقوى الدواعي له على التقوى والمراقبة" (فريد ، ٢٠٠٦م : ص ٢٤٩) .

من هنا لا بد من تربية النفس على المراقبة لنتحقق دلالة التقوى في قلوبنا ومشاعرنا وأعمالنا ، حتى ننال رضا الله تعالى .

ب- محاسبة النفس

النفس أمارة بالسوء ، فوجب ردها عن هذا السلوك المنحرف ، حيث أن المحاسبة تُعالج سلوكيات مختلفة للمسلم ، خصوصاً محاسبة النفس ،

قال الجزائري : ".. لما كان المسلم عاملاً في هذه الحياة الدنيا ليل نهار على ما يُسعد في الدنيا والآخرة ، ويؤهله لكرامتها وننظر إلى المعاصي والذنوب كالخسارة في التجارة ، ثم يخلو بنفسه ساعة من آخر كل يوم يُحاسب نفسه فيها على عمل يومه ، فإن رأى نقصاً في الفرائض لامها ووبخها ، وقام إلى جبره في الحال ... وإن رأى خسارة بارتكاب المنهي استغفر وأناب وعمل من الخير ما يراه مصلحاً للخير" (الجزائري ، ١٩٧٦م : ص ٨٦) .

فالمحاسبة ضرورة لحياة الإنسان خوفاً من الوقوع في المهالك ، لذلك قال أحمد فريد : "وعلاج استيلاء النفس الأمانة على قلب المؤمن محاسبتها ومخالفتها" (فريد ، ١٩٨٦م : ص ٧٥) .

والمحاسبة له قيمة دلالية في النفس تُساعد على التقوى والارجعة للنفس ، وإعداد سلوكياتها من تحقيق أعلى درجات الإيمان .

يقول المحاسبي في مفهوم المحاسبة : "التثبت في جميع الأحوال قبل الفعل والترك من العقد بالضمير أو الفعل بالجارحة ، حتى يتبين له ما يترك وما يفعل ، فإن تبين له ما كرهه الله عز وجل

جانبه بعقد ضمير قلبه وكف جوارحه عما كرهه الله عز وجل ومنع نفسه من الإمساك عن ترك
الفرض وسارع إلى أدائه" (المحاسبى ، ١٩٨٦م : ص ٢٠) .

وقال ابن قيم الجوزية : "ومن منزلة المحاسبة يصح له نزوله منزلة التوبة لأنه إذا حاسب
نفسه عرف ما عليه من الحق ، فخرج منه ، وتصلّ منه إلى صاحبه ، وهي حقيقة التوبة ، فكان
تقديم المحاسبة عليها لذلك أولى" (ابن قيم الجوزية ، ١٩٨٨م : ١/١٦٩) .

وحتى يتحقق هذا المفهوم الدلالي للتقوى في محاسبة النفس يقول الله تعالى : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانْتَظِرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}** (الحشر ، آية : ١٨) ،
فوجدنا في تفسير هذه الآية مدلولات تربوية تزيد في تقوى الإنسان المسلم مما تجعله يُواظب على
تربية نفسه وسلوكه وإعداد شخصيته الذاتية في سلوك منتظم .

هذه وصية الله لنا معاشر المؤمنين ، وصية من هو أرحم بنا من أمهاتنا ، وأحن علينا من
أنفسنا ، حيث أن هذا التوجيه التربوي لنا كأمة تحتاج دائماً للتذكير والانتباه خوفاً من الوقوع في
المعاصي فكان هذا التنبيه بهذه الآية .

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}** " يا أيها الذين صدّقوا الله
ووحدوه ، اتقوا الله بأداء فرائضه ، واجتنب معاصيه . وقوله **{ وَانْتَظِرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ }**
يقول: ولينظر أحدكم ما قدّم ليوم القيامة من الأعمال ، أمن الصالحات التي تنجيّه أم من السيئات
التي توبقه ؟. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل" (الطبري ، ١٩٨٨م : ٥٢/٢٨) .

لذلك لا بد من محاسبة النفس ومعاتبتها على أفعالها السيئة حتى يصل إلى درجة المتقين
العاملين الذين يقفون موقف المحاسبة للنفس .

لقد ذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب أنه قال : "حاسبوا أنفسكم قل أن تُحاسبوا ، وزنوا
أنفسكم قبل أن تُوزنوا ، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تُحاسبوا أنفسكم اليوم" (الترمذي ، ب.ت :
ح ٢٤٥٩ ، ص ٥٥٤) .

ولذلك هذه المشاهد من المحاسبة لها أثر في تقوى الإنسان وتربية السلوك على طاعة الله عز
وجل ، ومن حاسب نفسه في الدنيا هان الحساب عليه في الآخرة كما يقول الحسن : "أيسر الناس
حساباً يوم القيامة الذين يحاسبون أنفسهم في الدنيا فوقفوا عند همومهم وأعمالهم ، فإن كان الذي
هموا به لهم مضوا ، وإن كان الذي هموا به عليهم أمسكوا .. وإنما يتقل الأمر يوم القيامة على
الذين جازفوا الأمور في الدنيا أخذوها من غير محاسبة فوجدوا الله عز وجل قد أحصى عليهم
مثاقيل الذر" (المحاسبى ، ١٩٨٦م : ص ٩٤) .

والله تعالى يقول : ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فِئْرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف ، آية : ٤٩) .

وقوله تعالى : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء ، آية : ٤٧) .

"والمحاسبة هي ذلك الميزان الدنيوي الذي يستخدمه المرء المسلم لتصحيح مساره وتعديل سلوكه مستضيئاً في ذلك بهدى الكتاب والسنة" (الأهدل ، ب ت : ص ٨١) ،

ويقول الغزالي : "حكى صاحب للأحنف ابن قيس قال : كنت أصحابه فكان عامة صلواته بالليل الدعاء ، وكان يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه : يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا" (الغزالي ، ب.ت : ٤/٤٠٥) .

وقال سعيد حوى : "أنها موصلة إلى المراقبة أن يجتمع للإنسان المحاسبة الدائمة مع الاستغفار" (حوى ، ١٩٧٩م : ص ٢٢٥) .

والذي يُعين على المحاسبة للنفس ويحفزها على التقوى والإنابة أن يتيقن أن الله يقبل التوبة من العباد ، حيث قال صلى الله عليه وسلم : " إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح ٢٧٥٩ ، ص ١٤٣٢) .

من خلال هذه فإن محاسبة النفس تُورث في النفس تقوى الله عز وجل وتُساعده على رجاء رحمة الله تعالى ، وهذه دلالات تربوية للنفس على تعديل سلوكها والعودة إلى الحق .

ج- خشية الله

الخشية من الله لها مفهوم دقيق في نفس المؤمن ، والذي به يصل إلى درجة التقوى والإيمان ، ويتبعها البكاء من خشية الله ، خوفاً ورجاءً في رحمة الله .

يقول الله تعالى : ﴿.. فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ﴾ (المائدة ، آية : ٤٤) ، فهذا الخوف الذي نوه الله بأهله في القرآن ودعا إليه إنما هو الخوف القائم على مراقبة الله والخضوع لأمره وترك المحرمات خوفاً منه وتعظيماً له سبحانه وتعالى ، فهو يستلزم يقظة النفس للمحاسبة لها وتأديبها وحمائتها من الوقوع في المعاصي .

فالخوف من الله ليس شكلاً خارجياً يتمثل في صيحة أو أنه فقد لا يكون الخائف من يبكي ويمسح عينيه ، بل الخائف من يترك ما يخاف أن يُعاقب عليه .

فقد قال ابن القيم رحمه الله : " القلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائر ، فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه ، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جدد الطيران ، ومتى قطع الرأس مات الطائر ، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر" (ابن قيم الجوزية ، ب.ت : ص ٢٧٢) .

ولذلك فإن رجلاً قال للنبي عليه الصلاة والسلام أوصني ، فقال له : "أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلاً صالحاً من قومك" (الطبراني ، ب.ت : ح ٥٥٣٩ ، ص ٧٠) .

فقد "كان سفيان الثوري من شدة خوفه يبول الدم ، فحمل ماؤه إلى الطبيب ، فقال : هذا ماء رهبان ، هذا ماء رجل قد فتت الحزن كبده" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ م : ص ٤١٠) .

وننظر إلى قوله تعالى : **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ** (لقمان ، آية : ٣٣) .

يقول ابن كثير : "يقول تعالى منذراً للناس يوم المعاد وأمرهم بتقواه والخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث { لا يجزي والد عن ولده } أي لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه" (ابن كثير ، ١٩٩٠ م : ٤٣٦/٣) .

من خلال هذه المعاني للتفسير فإن الخوف والخشية أساس المراقبة والبعد عن المعاصي . فخشية الله تعالى في الغيب والشهادة من أعظم ما ينجي العبد في الدنيا والآخرة ولذلك كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : "أسألك خشيتك في الغيب والشهادة" (البزار ، ١٩٩٣ : ح ١٣٩٢ ، ص ٢٢٩) .

إن الموقف التربوي للمراقبة عنصر قوي في تقوية الإيمان والتقوى لدى الإنسان المسلم ، بحيث تجعله لا يهيم إلا بالحسنة ويتعد عن المعصية نظراً للمراقبة الدائمة لله ، لذلك فإن الله قد أعد لمن راقبه وخشيه أجراً عظيماً فقال سبحانه : **﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾** (البينة ، آية : ٨) وخص من خشيه في الغيب والسر فقال : **﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾** (ق ، آية : ٣١-٣٥) ، أما أولئك الذين خف قدر الله في قلوبهم وضعف يقينهم وإيمانهم فسارعوا في ارتكاب الموبقات والتورط في الذنوب والمعاصي في أوقات الخلوات ولم يراعوا حق رب الأرض والسموات **﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾** (النساء ، آية : ١٠٨) .

وهذا ما كان في توضيح النبي صلى الله عليه وسلم لمقام الدلالة التربوية لفهم الخوف والرجاء والمحافظة على سلوكيات المسلم ، فحتى تتحقق لنا هذه الدلالة للتقوى لا بد من معرفة طريق الخوف والرجاء وتحقيق طاعة الله ، فإن من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله : "رجل دعت امرأته ذات منصب وجمال . فقال : إني أخاف الله رب العالمين" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح ١٠٣١ ، ص ٤٩٢) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الملك ، آية : ١٢) .

"فالذين يخشون ربهم بالغيب هم الذين يعرفون حق الله عليهم ومراقبته إياهم في السر والعلن ويعلمون أنه مطلع عليهم مهما تخفوا وتستروا وهم دائماً منيبون إلى الله" (الشنقيطي ، ب.ت : ٤٠٠/٨) .

والخوف والبكاء من خشية الله له أثر تربوي في نفس الإنسان يُساعده على طاعة الله والوصول به لتحقيق التقوى ، ونجده في قول النبي صلى الله عليه وسلم : "ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وقد قال عليه الصلاة والسلام عيان لا تسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله" (الترمذي ، ب.ت : ح ١٦٣٩ ، ص ٣٨٥) .

من خلال هذه المعاني في التربية للنفس والسلوك فإن تحقيق مدارج التقوى لا يكون إلا بتعويد النفس على الخوف والبكاء والخشية من الله .

خلاصة :

- من خلال ما ذكر من مفهوم المراقبة والخوف من الله تعالى تظهر آثار تربوية تُؤثر في السلوك الإنساني من حيث إيقاظ الضمير وإحياء النفس بالمحاسبة وهي :
- ١- تربية النفس على فهم معاني التقوى بالمراقبة لله في جميع أعماله .
 - ٢- إيقاظ الضمير في نفس المسلم ليكون حذراً من الوقوع في المهالك بخوفه من الله .
 - ٣- تربية طالب العلم على مراقبة الله في علمه وجعلها في سبيل الله .
 - ٤- مساعدة النفس على المسارعة إلى الخير وعدم التأخر لتحصيل الثمار الطيبة في الآخرة
 - ٥- تحقيق درجات الإيمان للنفس وتربيتها على طاعة الله تعالى .

الفصل الرابع

الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في مجال العبادات والمجال الروحي

- تمهيد

أولاً : الدلالات التربوية لمفهوم التقوى المتعلقة بالعبادات

أ- ركن الصلاة

ب- ركن الزكاة

ج- ركن الصيام

د - ركن الحج

ثانياً : الدلالات التربوية المتعلقة بصفات المتقين في القرآن

أ- هداية المتقين

ب- موعظة المتقين

ج- تذكرة المتقين

د- تذكرة أهل الكتاب

هـ- بشارة المتقين

ثالثاً : دلالات التقوى التربوية لاستغفار المتقين

أ- استغفار المتقين

ب- عدم الإصرار على المعصية

رابعاً : الدلالات التربوية في مجال القنوت

تمهيد

الدنيا التي نعيش فيها وهذا الكون الرحب ، كل ما فيه يُسبح بحمد الله تعالى ويخضع له ، فالأرض والسماء وما فيها كل مستسلم لله تعالى خاضع له ، حيث هو المبدع الواحد الأحد ، قال الله تعالى : {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وِدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} (البقرة ، آية : ١١٦) ، وقال أيضاً : {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} (آل عمران ، آية : ٨٣) .

فالإنسان في هذا الكون يخضع ويسجد ويستسلم لهذا الخالق ويعبده ، وهذه هي الفائدة من الحياة حيث قال تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات ، آية : ٥٦) فالعبادة هي غاية الوجود الإنساني بل الكون كله ما وجد إلا لذلك .

فالعبادة في الإسلام لها معنى واسع في الدين لقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة ، آية : ٢١) ، ولا بد من تفاعل المسلم مع هذه العبادة كاملاً قولاً وعملاً وسلوكاً .

"فالواجب على كل مسلم أن يعلم أنه ما خلق إلا للعبادة، وأن وقته يجب أن يكون في عبادة ؛ سواء ما كان منه في الشعائر التعبدية ، أو ما كان منه في المعاملات أو ما كان منه في المباحات، كل ذلك يجب أن يمارسه العبد وشعور العبادة لله عز وجل يصاحبه ، فيراقب ربه في كل أعماله ، وينوي بها التقرب إليه عز وجل والاستعانة بها على طاعته" (الجيل ، ١٩٩٦م : العدد ١٠٤) .

"العبادة نوع من الخضوع بالغ حد النهاية ناشئ عن استشعار القلب بعظمة المعبود مع الحب النفسي والفناء في جلال المعبود وجماله فناء لا يدانيه فناء ، مع الاعتقاد بسلطته له لا يُدرك كنهها وماهيتها ، وقصارى ما يعرف عنها أنها محيطة به ولكنها فوق إدراكه ، فهو لذلك يخضع للمعبود رهبة مما يقدر عليه من العقاب ، وطمعاً فيما عنده من الخير ، ورغبة في كشف الضر عنه وحباً فيما أنعم عليه من إحسان" (طيارة ، ١٩٧٩م : ص ١٧) .

لذلك لا بد من شمول العبادة لكل مناحي الحياة المختلفة حتى تتحقق العبودية الكاملة لله تعالى .

قال يكن : "العبادة في الإسلام هي نهاية الخضوع وقمة الشعور بعظمة المعبود وهي مدارج الصلة بين المخلوق والخالق ، كما أنها ذات آثار عميقة في التعامل مع خلق الله وتستوي في ذلك أركان الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج وسائر الأعمال التي يبتغي بها الإنسان وجهه الله

ويتحرى شرعه ، ومنطق الإسلام يقتضي أن تكون الحياة كلها عبادة وكلها طاعة (يكن ، ٢٠٠٠ م : ص ٢٧) .

قال القرضاوي : "من هنا كان من المقومات الأساسية التي قامت عليها التربية الإسلامية الإخوانية العبادة لله تعالى ، فهي الغاية الأولى من خلق المكلفين ... والعبادة بالمعنى العام اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال ، ولكننا نقصد هنا العبادة بالمعنى الخاص وهو التمسك والتقرب لله تعالى بإقامة شعائره وذكره وشكره" (القرضاوي ، ١٩٩٢ م : ص ١٥) .

فالمجتمع المسلم الحقيقي الذي يدين الله بالعبودية الخالصة له وينشأ مجتمعاً مسلماً يقوم على هذه الصفة من العبادة في جميع نوحى الحياة ، يقول سيد قطب : "إن المجتمع المسلم إنما ينشأ من انتقال أفراد ومجموعات من الناس من العبودية لغير الله -معهم أو من دونه- إلى العبودية لله وحده بلا شريك ، ثم من تقرير هذه المجموعات أن تقيم نظام حياتها على أساس هذه العبودية .. وعندئذ يتم ميلاد جديد لمجتمع جديد ، مشتق من المجتمع الجاهلي القديم ، ومواجهة له بعبادة جديدة ، ونظام للحياة جديد ، يقوم على أساس هذه العقيدة ، وتتمثل فيه قاعدة الإسلام الأولى بشطريه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" (قطب، ١٩٨١ م : ص ٩٧) .

وحتى تتحقق الموازين المطلوبة للعبادة وربطها بمفهوم الإيمان والتقوى ، نريد التحدث عن العبادات الخاصة بأركان الإسلام والتي وجدناها في كتاب الله عز وجل وهي تتعلق بالتقوى ومفهومها وطريقها الواضح لتكون الهدف الأسمى للمؤمن للارتقاء بإيمانه وسلوكه التربوي في حياته لينطبق عليه القول مع العمل كما قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف ، آية : ٢) .

أولاً : الدلالات التربوية لمفهوم التقوى المتعلقة بالعبادات

هناك أركان لها دلالات تربوية في تعزيز دور التقوى في قلوب المؤمنين ، فحتى تتحقق هذه الأركان حقيقة عملية لا بد من شرح وإيضاح لمفهوم العبادات وعلاقتها بالتقوى وهي :

أ- ركن الصلاة

الصلاة ركن من أهم أركان هذا الإسلام ، ولها منزلة رفيعة لا تعدلها أي منزلة ولا أية عبادة أخرى ، فهي بذلك عمود الدين ، وقد أزم الله تعالى عباده بإقامة الصلاة بقوله : ﴿وَأَقِمُّوا الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه ، آية : ١٤) . ولهذا كانت الصلاة هي الحد الفاصل بين الإسلام والكفر ، حيث

قال صلى الله عليه وسلم : "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة" (مسلم ، ٢٠٠٢ م : ح ١٣٤ ، ص ٦٢) .

لذلك فإن الصلاة من أشمل العبادات ، وأجمل الدعاء ، وأكثر العناصر نفخاً للروح في العبادة . وللصلاة منزلة عظيمة عند الله فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به حيث وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال لمعاذ بن جبل بقوله : "ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟" قلت : بلى يا رسول الله ، قال : " رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد " (ابن ماجة ، ب.ت : ح ٣٩٧٣ ، ص ٦٥٦) ؛ وهي لا تسقط عن المكلف مهما كانت الأسباب ، ولذلك قال الله تعالى في الصلاة والمحافظة عليها : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾ (البقرة ، آية : ٤٣) .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : "عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : "الصلاة على وقتها" ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : "بر الوالدين" ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : "الجهاد في سبيل الله" (النسائي ، ب.ت : ح ٦١١ ، ص ١٠٣) .
"وأن الصلاة هي أهم عبادة فهي أكثر ما تورث في النفس التقوى ، فينبغي المحافظة عليها وإتمامها وبشروطها وأركانها وكمالها من خشوع وخضوع" (الأطرش ، ٢٠٠٢ م : ص ٤٥) .
يظهر أن للصلاة أثر في إعداد النفس الإنسانية للمسلم ، وأن تقوى الله تعالى لها أثر في بناء هذا السلوك حيث قال صلى الله عليه وسلم : "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" (أبو داود ، ب.ت : ح ٨٥٧ ، ص ١٤٠) .

قال طبارة : "الصلاة عبادة مشتركة بين الديانات ، وهي لون من ألوان الابتهاال إلى الله ، وكلمة الصلاة لم يستحدثها الإسلام بل استعملها العرب قبل الإسلام بمعنى الدعاء والاستغفار ، وهي مشتقة من الصلة ؛ لأنها تصل الإنسان بخالقه وتقربه من رحمة ربه" (طبارة ، ١٩٧٩ م : ص ٢٦) .
ولو نظرنا إلى البعد العملي والتربوي للصلاة نجد أنها تُعلم المسلم نماذج كبيرة من السلوكيات الطيبة التي تقربه إلى الله تعالى وتنهاه عن المعاصي والصلاة تُعتبر معراج المؤمن التي تُساعده في السمو الروحي ونقاء النفس من كل ذنب والبعد عن المعاصي ، حيث يظهر في صلاة المتقين أنها تنهى عن المعاصي وتقيد الشهوات المسمومة للنفس ، قال الله تعالى : ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت ، آية : ٤٥) .

وهي التي يحو بها الله الخطايا والذنوب والأدران قال صلى الله عليه وسلم: "أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال " كذلك الصلوات الخمس يحو بهنَّ الله الخطايا " (مسلم ، ٢٠٠٢ م : ح ٢٨٣ ، ص ٣٢٠) .

بهذا المفهوم والدلالات التربوية والسلوكية للصلوة تُعطينا إشارة أن الصلاة تربية نفسية وروحية وسلوكية للمسلم ، حيث تُقَيِّد فيه النظر إلى المحرمات والشهوات الفاسدة ، وبها نربي أولادنا ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع" (أبو داود ، ب.ت : ح ٤٩٥ ، ص ٨٢) .

والله تعالى ذكر في القرآن التصبر على أمر الصلاة وأمر الأبناء والأهل على المحافظة على الصلاة من أجل الوصول إلى سلوك طيب في البيت المسلم حيث قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه ، آية : ١٣٢) .

يقول الطبري : "القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ . يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿وَأْمُرْ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ يقول : واصطبر على القيام بها ، وأدائها بحدودها . وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ ، وقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ يقول: والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقاباً، ولا يرجو له ثواباً" (الطبري، ١٩٨٨ م : ٢٣٦/٩) .

وهناك إحياءات تربوية دالة على ربط الأبناء بالصلاة والصبر عليها من أجل رضا الله تعالى وتجنب المعصية والتقريب للتقوى .

قال علوان في تربية الأولاد في الإسلام : "ليقوم المربي بالدور الأساسي في تعليم الطفل الصلاة والمحافظة عليها وهي تربية عملية "ومن وسائل تقوية الخشوع ، وترسيخ التقوى في نفس الولد ترويضه في سن التمييز على التخشع في الصلاة ، وتأديبه على التحزّن والتباكي عند سماع القرآن الكريم ، وهذه هي صفة العارفين ، وشعار عباد الله الصالحين ، وخصيصة المؤمنين الصادقين" (علوان ، ١٩٨٣ م : ١/١٦٤) .

ويظهر أيضاً في صفة صلاة المتقين أنهم يقيمون الصلاة ويحافظون عليها ويدومون عليها حتى يتحصّل لهم المرتبة الطيبة في الجنة والمقام المحمود ، قال تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة : ٢-٤) .

فمعنى إقامة الصلاة ، هو المداومة على فعلها والمحافظة عليها من أن لا يقع فيها زيغ أو نقص ، وكذا إقامتها بحدودها من الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال على الله تعالى ،

"وقد كانت الصلاة بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم قرّة عينه ونعيمه وسروره" (طبارة ، ١٩٧٩م : ص٤٩) .

أما ما يكون في تربية المتقين السلوكية والنفسية في الصلاة بقوله تعالى عندما وصف المتقين : ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (الذاريات ، آية : ١٧) .
"قالهجوم كما قال الألويسي : "الهجوم : النوم ، وقيده الراجب بقوله ليلاً ، وغيره بالقليل" (الألويسي ، ب.ت : ١١/١٥) .

"وصفة قيام الليل بالصلاة والدعاء والعبادة قد خص بها الله المتقين ، حيث عبر عن ذلك بأنهم لا ينامون الليل أو ينامون قليلاً من الليل" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص٨٣) .
وقال أبو حيان في البحر المحيط : "من الليل " يدل على أنهم مشغولون بالعبادة في أوقات الراحة وسكون الأنفس من مشاق النهار . {وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} (الذاريات ، آية : ١٨) فيه ظهور على أن تهجدهم يتصل بالأسحار فيأخذون في الاستغفار مما يمكن أن يقع فيه تقصير" (أبو حيان ٢٠٠١م : ١٥/١٢٠) .

من خلال هذه الأقوال فإن الصلاة التي يتصف بها المتقون هم الذين لا ينامون إلا قليلاً من الليل ، فهي تدريب تربوي للنفس على حب الله عز وجل رجاء رحمته وطمعاً في جنته التي جعلها الله للمتقين مقاما .

يقول سيد قطب معلقاً على هذه الآية بدلالة تربوية للنفس المتقية لله تعالى ، والتي يجد نفسه في هذه الساعة في وسط الليل ساجداً لله ، فيه تربية هامة للنفس وتسكين لها من التفكير في الدنيا ، بل التطلع للأخرة والجنة فيقول : "فهم الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام ، المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام ، لا يطعمون الكرى إلا قليلاً ، ولا يهجعون في ليلهم إلا يسيراً . يأنسون بربهم في جوف الليل فنتجافي جنوبهم عن المضاجع ، ويخف بهم التطلع فلا يتقلهم المنام وهي حال يتطلع إليها رجال من التابعين ذوي المكانة في الإيمان واليقين ويجدون أنفسهم دونها اختص بها ناس ممن اختارهم الله ، ووقفهم إلى القيام بحقها" (قطب ، ١٩٨١م : ٦/٣٣٧٧) .

فهكذا كانت أهمية الصلاة للمتقين في تربية نفوسهم وتقوية عزائمهم للوصول إلى أعلى درجات الإيمان والإحسان الذين يُحبهم الله تعالى بتقربهم له بالصلاة في جوف الليل والناس نيام .

ب- ركن الصوم

العبادات بشكل عام ، والصوم منها بشكل أخص هي مواسم للمراجعة والتجدد واستعادة الفاعلية والعودة إلى حالة التوازن التي تكاد تفتقد في غمرة الحياة بدوافعها ونوازعها ، وهي مراكز

للتدريب العملي على المعاني الإسلامية ضمن مناخ جماعي ملائم يعين الفرد على التكيف ، ولكل عبادة دورها في بناء الشخصية المسلمة ، والصوم له دور بارز في تهذيب السلوك .
"والصوم مدرسة إيمانية يتربى فيها المرء على مراقبة الله تعالى ، يُربي فيها روحه على مراقبة الله تعالى ، ويُربي فيها شهوته على ترك المباحات ليكون ذلك معيناً له على ترك المعاصي، فإن الصوم كما قيل يعصم الشهوة"(الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص٤٦) .

فالصوم مدرسة ذات دلالة تربوية يتصف بها المتقون ، والتي تجعلهم ذوي سلوك متوازن ومراقب في أفعاله وأعماله الباطنية الخفية ، حيث أن الصوم يضبط الشهوة والتي تحقق التقوى ، فقال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة ، آية : ١٨٣) .

يقول رضا في تفسير هذه الآية **{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** : "هذا تعليل لكتابة الصيام ، ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا ، وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى ، بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة ، امتثالاً لأمره ، واحتساباً للأجر عنده ، فتتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها ، فيكون اجتنابها أيسر عليه ، وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والاصطبار عليها، فيكون الثبات عليها أهون عليه"(رضا ، ب.ت : ١٤٦/٢) .

في هذا التفسير دلالة تربوية ماثلة أمام العين ، حيث أن التقوى تتحقق بالفعل عن طريق الصبر على الطاعة بترك الشهوات المحرمة والإقبال على الطاعات لينال الرضى من الله .
قال الجزائري : "من الفوائد الروحية للصوم أنه يُعوّد الصبر ويُقوّي عليه ويُعلّم ضبط النفس ويُساعد عليه ، ويوجد في النفس ملكة التقوى ويُربّيها وبخاصة التقوى التي هي العلة البارزة من الصوم"(الجزائري ، ١٩٧٦م : ص٢٦١) .

وقال قطب ، رحمه الله في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة ، آية : ١٨٣) : "وهكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم... إنها التقوى ، فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب ، وهي تؤدي هذه الفريضة ، طاعة لله وإيثارا لرضاه ، والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب ، من إفساد الصوم بالمعصية ، ولو تلك التي تهجس بالبال ، والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله ووزنها في ميزانه ، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم ، وهذا الصوم أداة من أدواتها وطريق موصلة إليها ، ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم، هدفاً وضيئاً يتجهون إليه عن طريق الصيام"(قطب ، ١٩٨١م : ١/١٦٨) .

فتقوى القلوب تتحقق بالصوم من خلال الإقبال على الله بالصيام وترك الحلال خلال النهار من أجل رضا الله وتربية النفس على الصبر .

قال ابن الجوزي : "**لعلكم تتقون**" ؛ لأن الصيام وصلة إلى التقوى ، إذ هو يكف النفس عن كثير مما تتطلع إليه من المعاصي ، وقيل : لعلكم تتقون محظورات الصوم" (ابن الجوزي ، ١٩٨٧م : ١/١٨٤) .

من هذه التفسير يظهر أن الصوم يؤسس التقوى في النفس الإنسانية بالقول **{لعلكم تتقون}** ، بحيث يكون الصيام ذات دلالة تربية للنفس .

يقول المودودي : "الصوم يُدرّب المسلمين أفراداً والمجتمع الإسلامي جماعة على تقوى الله وخشيته تعالى شهراً كاملاً في كل عام" (المودودي ، ب.ت : ص ٩) .

ولا بد أن نعرف أن الإمساك عن الطعام والشراب مع عدم مراقبة الله تعالى يجعله يرتكب الآثام ، فليس هذا هو الصيام الحقيقي الذي فرضه الله على المؤمن ليربيه على تقوى الله ، لذلك قال صلى الله عليه وسلم : "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" (ابن خزيمة ، ١٩٩٢م : ح ١٩٩٥ ، ص ٢٤١ ، ج ٣) .

وهناك مدرسة تربية ذات دلالة واضحة في إعداد نفس الصائم لتقوى الله تعالى ، حيث أن الصيام يُخفف الشهوة التي هي أم المعاصي لقول النبي صلى الله عليه وسلم : "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ، فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء" (الترمذي ، ب.ت : ح ١٠٨١ ، ص ٢٥٥) .

"إن الذين صاموا فصامت جوارحهم عن مساخط الله ، وأخلصوا لعزائم الخير فطابت بطاعة الله أنفسهم ، ولانت بالبذل أيديهم ، وأسرعوا أسرع من رجع الصدى إلى ميادين الجهاد ، أولئك الذين يُعيدون إلى أرض الواقع ودنيا الناس المجتمع المسلم" (إبراهيم ، ١٩٩٠م : ص ٤٤) .

من خلال هذه الشواهد يتبين أن الدلالات التربوية لمدرسة الصوم ذات قيمة عالية في تربية النفس ، من حيث تدريبها على الخشية وامتثال الأمر الإلهي بالصيام خلال شهر كامل بعيداً الشهوات الدنيوية ، والتي من خلالها تتحقق كلمة التقوى في نفس المسلم بقوله تعالى : **{لعلكم تتقون}** .

ج- ركن الزكاة

يظهر أثر الزكاة في إعداد أصحابها للتقوى عبر الإنفاق في سبيل الله والتصدق بالمال ليظهر النفس من الشح ، فإن التقوى هي أن يتخذ الإنسان وقاية بينه وبين ما يُعطي له الله تعالى ،

فالزكاة تطهر الإنسان في نفسه وماله من المعاصي ومن الأخلاق الذميمة ، لهذا وصف الله المتقون في كتابه العزيز بقوله : ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة ، آية : ١٧٧) .

وتعتبر الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة كما ورد في الحديث : "بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت" (مسلم ، ٢٠٠٢ م : ح ١٦ ، ص ٣٤) .

والزكاة في أصل معناها تعني الطهارة والنماء ، "فهي طهارة لنفس الغني من الشح البغيض وطهارة لنفس الفقير من الحسد والبغض .. وطهارة للمجتمع كله -أغنيائه وفقرائه- من عوامل الهدم والتفرقة والصراع والفتن .. ثم هي طهارة للمال من تعلق حق الغير أو من الشبهات ونحوها وهي أيضاً نماء .. فهي نماء لشخصية الغني وكيانه المعنوي لينهض بإخوانه في الدين ويعتاد على الإنفاق والبذل .. ونماء لشخصية الفقير حيث يحس بمكانته في المجتمع وأن الإسلام قد اهتم به ثم هي نماء للمال" (القرضاوي ، ١٩٧٣ م : ص ٢٥٨) .

والزكاة هي العبادة المالية الاجتماعية الهامة ، وهي الفريضة الثانية في الإسلام وقد قرنها القرآن بالصلاة في عشرات المواضع ، وذكرها بصورة لفظ الزكاة وبالصدقة وأخرى بالإنفاق نظراً لأهميتها ودورها في وحدة المجتمع المسلم وتطهيره من الفقر .

يقول طبارة : " وما ذكره الله تعالى من تطهير الصدقة للمؤمنين يشمل أفرادهم وجماعتهم ، فهي تطهير نفوس الأفراد من الذنوب ومن أرجاس البخل والدناءة والقسوة والأثرة والطمع وغير ذلك من الرذائل الاجتماعية التي هي مثار التحاسد والتعادي والعدوان والفتن والحروب ، وتركبي أنفسهم ، أي تنميتها ترفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية حتى تكون بها أهلاً للسعادة الدنيوية والأخروية" (طبارة ١٩٨٨ م : ص ٣٤٣) .

وقد تحدث القرآن الكريم عن اقتران الصلاة بالزكاة في أكثر من آية لدلالة أهميتها في نفس المسلم والمجتمع وإيحاء دليل الترابط الاجتماعي . قال سيد سابق : "وقد قرنت بالصلاة في اثنتين وثمانين آية" (سابق ، ٢٩٨٧ م : ٢٨٧/١) . ومنها ما قاله الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة ، آية : ٣) .

وقد وصف الله المتقين بأنهم يُؤتون الزكاة ، ويتصدقون بأموالهم في أكثر من آية من القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة ، آية ٣) . وقوله تعالى : ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران ، آية : ١٧) ، وقوله تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران ، آية : ١٣٤-١٣٣) . وهي بهذا تركز على المتقين بصورة واضحة لدلالاتها التربوية في بناء النفس على حب المساكين والتصدق في سبيل الله على أمل الحصول على رضا الله .

وهناك دلالة تربوية تتحقق من خلال قوله تعالى : ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة ، آية : ١٧٧) ، فهؤلاء المتصدقين هم الذين يطبقون قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّكْعِينَ﴾ (البقرة ، آية : ٤٣) . تتحقق فيهم صفة المتقين ، والتي لا تكون إلا من خلال إيتاء المال على حاجة وحب له ومع ذلك تترتب فيهم دلالة الإنفاق رجاء محبة الله لهم وتحقيق صفة التقوى لهم .

يقول المودودي : "وهي تنشيء في قلوب المسلمين عواطف الإخاء والمساواة ، وترويضهم على بذل المال والتعاون فيما بينهم" (المودودي ، ب.ت : ص ٦٠) .

وهناك إشارات كثيرة في أقوال المفسرين كما قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ " يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿وَأَتَى الْمَالَ﴾ الزكاة المفروضة ، ولكن الغرض من الأول بيان مصارفها ، ومن الثاني أدائها . ويُحْتَمَلُ أَنْ الْمُرَادُ بِالْأَوَّلِ نَوَافِلِ الصَّدَقَاتِ أَوْ حَقُوقًا كَانَتْ فِي الْمَالِ سِوَى الزَّكَاةِ" (البيضاوي، ١٩٨٨م : ١/١٠١) .

لذت فإن هذا المال الذي وضع في يد الأغنياء لا بد أن يجعلهم دائماً يُقَدِّمُونَ ما يحبون على هذه الدنيا هو رضا الله كما وصفهم بأنهم متقون دلالة على منهج القرآن والسنة في تربية النفس على التطوع وعدم الشح ليكونوا في معية هذه الصفة .

وهناك صفات إنفاق تربوية أخرى في حالة اليسر والعسر في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران ، آية : ١٣٤) .

قال أبو حيان : "وابتدئ بصفة التقوى الشاملة لجميع الأوصاف في الشريعة ثم جيء بعدها بصفة البذل ، إذ كانت أشق على النفس وأدل على الإخلاص ، وأعظم الأعمال للحاجة إلى ذلك في الجهاد ، ومواساة للفقراء" (أبو حيان ، ٢٠٠١ م : ٦٣/٣) .

وقد جاء في الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي جعل الإنفاق له دور تربوي ودلالة ذات قيمة في تحقيق التقوى ، حيث قال : "ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً" (مسلم ، ٢٠٠ م : ح ١٠١٠ ، ص ٤٨٣) .
وقد تمثل في أروع صور الصحابة الذين حرصوا على الإنفاق في كل وجه من وجوه الخير وخصوصاً عندما يحثهم النبي في كل حال في الحرب والسلام وفي المنشط والمكروه ، حتى أنهم عندما لم يجدوا ما يُنفقون تولوا وعيونهم تفيض حزناً أنهم لم يقدموا ما يُنفقون ، حيث ذكر ابن إسحاق في سياق غزوة تبوك : "ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله وهم الباكون ، وهم سبعة نفر ، من الأنصار وغيرهم .. فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهل حاجة فقال : "لا أجد ما أحملكم عليه" فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما يُنفقون" (هارون ، ١٩٩٢ م : ص ٢٢٨) .

من خلال هذه الإشارات المختلفة لدور الإنفاق والتصدق في سبيل الله ، فإن التقوى لا تتحقق إلا عبر ما يقوم به المسلم لتحقيق ما يصبوا إليه من رضا الله ومحبهته ويُساعد في إصلاح المجتمع المسلم ، وتجنب النفس من الشح والإقتار .

د- ركن الحج

الحج رحلة إيمانية عظيمة تربي فيها روح المؤمن على الزهد والنقش والتجرد عن كل زينة ، حيث أن العبادات كلها ذات دلالة تربوية للنفس وتهذيبها وتطهيرها من جميع شوائب المعصية ، فالصيام يهذب شهوتي البطن والفرج وتحمل الجوع والصبر عليه ، والزكاة تطهر المال من الشح والإقتار ، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتعود المسلم على الانضباط والالتقان .
ولكن فريضة الحج ذات تربية دلالية للنفس ، "وإذا الصوم يهذب شهوتي البطن والفرج وهي ليست يسيرة على الإنسان ، فإن الحج يُهذب شهوة التجمّل التي يكون فيها التفاخر ، وتزول فوارق النسب والتفاخر عندما يتجرد المرء من لباس الزينة" (الأطرش ، ٢٠٠٢ م : ص ٥٠) ، حيث يتجرّد المرء من كل ذلك بوقوفه في مواطن الحج يندكر الموقف العظيم في الآخرة ، وهذه المعاني عن التربية الوجدانية أو الضمير الحي الحساس نجدها متمثلة في كثير من مشاعر الحج ومناسكه ، منذ أن يفرض المسلم الحج على نفسه في أشهره إلى أن يقضي مناسكه ، فأنت واجد في كل شعيرة من

الشعائر ما يحمك على مراقبة الله تعالى لك ، ويجعل من النفس اللوامة أو الضمير حكماً أو قاضياً في كثير من ما يقوم به المسلم في الحج .

"والحكمة من الامتناع عن هذا كله : أن الحج عبادة ، الغرض منها التقرب إلى الله ، والوصول إلى ما أعده سبحانه للنفس المحسنة من حُسن الجزاء . ولا يكون ذلك عادة إلا بإبعاد النفس عن شهواتها ، وخرجها عن مألوفها ، وكفها عن لذاتها . ومظهر هذا : الاقتصار على الضروريات من الحياة ، والتجرد لله في جميع الحركات والسكنات" (طيارة ، ١٩٨٨م : ص ٢٦١) .
وقال صلى الله عليه وسلم : "من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كما ولدته أمه" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح ١٣٥٠ ، ص ٦٧٤) .

وهذا يظهر في الإشارات الدالة على التقوى بربطها بالحج ومدلولات الحج ، وفي أعقاب الدخول في النسك يلتفت السياق القرآني إلى هذه الناحية التفاتة رائعة ، فيقول الله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ (البقرة ، آية : ١٩٧) .

في هذا السياق في مجال الحج دلالة على "تعويد النفس على النكشف والزهد في متاع الحياة الدنيا والارتفاع فوق المادة وفوق ما اعتادت أن تخضع له من شهوات جسدية ، وفيه رياضة للنفس على المشقة واحتمال المكروه ليعتاد على الصبر ، وفيه يبتعد المرء عن كل ما لا يليق بالمؤمن من أخلاق سيئة" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ٥١) ، وفي هذا يُورث في الإنسان صفة التقوى بهذه الدلالات التربوية للحج .

"إذا تبين لنا أثر الحج في تهذيب النفس وتقوية الروح تبين لنا أثر الحج في توريث التقوى، ففي الحج امتناع عن اللباس الفاخر والزينة وهي شهوة من أهم شهوات الإنسان التي يكون فيها مدخل للشيطان ، فإذا اعتاد الإنسان ذلك ابتعد عن المعاصي . وإذا ابتعد المرء عن الرفث والفسوق والعصيان كان في ذلك ابتعاد عن المعاصي المتأدية من ذلك" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ٥١) .

والحج يُعطي زاداً روحياً للنفس بتقوى الله في ذلك ويتحقق في قوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة ، آية : ١٩٧) .

قال قطب : "والتقوى زاد القلوب والأرواح ، منه تقنات وبه تتقوى وترف وتُشرق وعليه تستند في الوصول والنجاة ، وأولوا الألباب هم أول من يُدرك التوجيه إلى التقوى وخير من ينتفع بهذا الزاد" (قطب ، ١٩٨١م : ١/١٩٧) .

من هذه الإشارات للتقوى يظهر المدلول التربوي هو زاد طريق إلى الآخرة في هذه الرحلة الطويلة وهو زاد التقوى ، ولا يكون لك خير زاد في رحلة الحج للتحمل والتصبر إلا بالتقوى .
وفي معرض قوله تعالى : ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة ، آية : ١٩٦) .

في هذه الآية يظهر لمفهوم التقوى دليل واضح في الحج والرحلة الإيمانية حيث قال ابن عاشور في هذا المفهوم لهذه الآية : "وصاية بالتقوى بعد بيان الأحكام التي لا تخلو عن مشقة للتحذير من التهاون بها" (ابن عاشور ، ب.ت : ٢٣٠/٢) .

من مكارم الحج تظهر إشارة تربوية في ضبط النفس من الوقوع في المزالق أثناء هذه الرحلة حتى لا يُعاقب عليها بتهاونه خلالها ، وهذا مما يُحقق المراقبة والتقوى خلال المناسك التي يقوم بها ولا يتهاون فيها لأنه مُراقب من الله .

وكذلك نجد إشارة أخرى لمناسك الحج وتقوية التقوى فيها ، وهي التقرب لله تعالى بالمال من خلال الهدى لينال الأجر العظيم بتقربه لله لينال التقوى الكبرى وهو تكفير جميع الذنوب ، ونجد ذلك في قوله تعالى : ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ (الحج ، آية : ٣٧) ، وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج ، آية : ٣٢) .

يقول قطب : "ويربط بين الهدى الذي ينحره الحاج وتقوى القلوب .. إذ أن التقوى هي الغاية من مناسك الحج وشعائره . وهذه المناسك والشعائر إن هي إلا رموز تعبيرية عن التوجه إلى رب البيت وطاعته" (قطب ، ١٩٨١م : ٤/٢٤٢٢) .

يقول الصابوني : "فإن المؤمن لا يذبح لصنم ولا وثن ، وإنما يتقرب بنسكه إلى الله وحده ، مخلصاً له العبادة جل وعلا ، والإسلام يربط بين الهدى الذي ينحره الحاج وبين تقوى القلوب ، فالتقوى هي الغاية من مناسك الحج وشعائره ، وهذه المناسك والشعائر كلها رموز تعبيرية عن التوجه إلى رب البيت" (الصابوني ، ب.ت : ٦١٨/١) .

من خلال هذه الإشارة تظهر دلالة تربوية من خلال الإنفاق بالتقرب إلى الله حتى يتعلم البذل والعطاء مع باقي المناسك التي قَدِّمها ليتحقق مراد الله تعالى وهو التقوى والهدى والرشاد وتكفير الذنوب .

خلاصة :

العبادات المختلفة التي يقوم بها المسلم في حياته منذ التكليف حتى نهاية حياته يُمكن أن تُؤثر فيه وفي نفسه ، وحتى أنها تتعكس إنعكاساً إيجابياً في سلوكه وعاداته وطريقة ممارسته العملية في حياته .

وللعبادات دور تربوي في حياة المسلم تُؤدي إلى الارتقاء بشخصية المسلم ، ويتمثل هذا الدور في النقاط الآتية :

١- تعويد الفرد النظام والدقة والمحافظة على المواعيد والصدق والتعاون والعمل ضمن نظام جماعي ، وهي تُؤدي بصورة جماعية مختلفة والالتزام بالانضباط السلوكي عن طريق الالتزام الفردي والجماعي بما أمر الله عز وجل واتباع هدي النبي .

٢- تربية الإنسان على تعظيم حرمة الله ، والتي بكل معاني العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج تقود الإنسان إلى تعظيم أمر الله بالالتزام بمكانة هذه العبادات التي تُؤدي إلى الحفاظ على كيان المسلم وسلوكه .

٣- تحقيق معنى الإخلاص الكامل لله وحده لا شريك له وهو ما يمكن أن يتحقق للإنسان المسلم عندما يُمارس هذه العبادات متجرداً من كل الأغراض الدنيوية والغايات الحياتية ، وعندما تكون غايته مُتمثلة في طاعة الله تعالى والامتثال لأمره سبحانه والطمع في مرضاته سبحانه وتعالى ، فهذا فيه بُعدٌ تربوي ذاتي يتمثل في أهمية تربية النفس البشرية على إخلاص النية وصلاح الطوية في مختلف الأقوال والأعمال فرديةً كانت أو جماعية .

٤- تربية المسلم نفسه على حُسن التعامل مع إخوانه الذين تربطه بهم رابطة الأخوة الإيمانية ، حيث أن هذا الدليل التربوي يجعل من خلال العبادة نموذج تربوي حي للتعاون على البر والتقوى من ارتباطه بهذه العبادات جميعاً .

٥- تعويد المربين على تمثيل هذه العبادات للمتعلمين حتى يلتزموا بها سلوكاً وعملاً وجماعة ، فيستيقظ لهم ضمير الحرص والتقوى والإخاء ، وهذا بعد تربوي اجتماعي يتمثل في تحقيق انتماء الفرد المسلم إلى مجتمعه الإسلامي الذي يعيش فيه ، ويتفاعل مع من فيه وما فيه ، فيفرح لفرحهم ويتألم لألمهم .

٦- التربية على الصبر من خلال تحمّل العبادات بالطاعة لله وآداءها ، وهي من أروع الميادين التربوية لتمارين النفس على الصبر ، وتحمل تبعات العبادة في ظل جميع الظروف.

ثانياً : الدلالات التربوية المتعلقة بصفات المتقين في القرآن

القرآن الكريم كلام الله المعجز ، المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، المتعبد بتلاوته ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أنزله على عبده ورسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بواسطة الأمين جبريل ، وحفظه من أيدي العابثين حيث قال : **{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }** (الحجر ، آية : ٩) .

قال الجزائري : "وأن القرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، وأن أهله هم أهل الله وخاصته ، والتمسكون به ناجون فائزون والمعرضون عنه هلكى خاسرون" (الجزائري ، ١٩٧٦م : ص ٧٧) .

فالقرآن هو المعجزة الكبرى التي أيد الله بها رسوله الكريم محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والتي تحدت بها العرب إذ جاءت من جنس ما برعوا فيه ؛ وهو فصاحة اللغة وبلاغتها وقوة بيانها ، فما استطاعوا أن يأتوا بآية من مثله .

قال الله تعالى في ذلك : **{ قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً }** (الإسراء ، آية : ٨٨) .

فتلاوة كتاب الله عز وجل مع التدبر طريق يُوصل إلى التقوى ، وهذا ينبغي أن يكون مسبقاً بالإيمان ، لذلك يقول الله تعالى : **{ إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقومُ ويُبشِّرُ المؤمنينَ الذين يعملون الصَّالحاتِ أنَّ لهم أجراً كبيراً }** (الإسراء ، آية : ٩) .

"وقد استرسل القرآن في التذكير بالتقوى حتى لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن منها وذلك تعقيباً على كل طلب أو تكليف أو قبلهما أو قبل كل أمر أو نهي أو بعدهما باعتبار أن التقوى هي الحارس الأمين لسلامة العمل أو قبوله أو تركه" (عبدالله ، ١٩٩٤م : ص ٤٦) .

"وعلى هذا فلا بد للمؤمن من تقوية الجانب الإيماني عنده حتى يكون القرآن موصلاً إلى التقوى إذا ما قرأه وتدبر آياته ، فإن قراءة القرآن تجعل الإنسان دائم الصلة بالله تبارك وتعالى ، وهذا ما يُورث ملكة التقوى التي تجعله دائم الخوف والحذر من معصية الله وغضبه ، فقلب المؤمن هو الذي ينتفع بالقرآن ويتدبر آياته ، وكلما زاد إيمان المسلم زاد انتفاعه بالقرآن يقول الله

تعالى" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ٥٤) . وهذا ما قاله الله تعالى : ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ
أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَآمَنَ الَّذِينَ آمَنُوا فَرَّادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (التوبة ، آية : ١٢٤) .

وهناك أحاديث أعطت دلالة واضحة على أهمية وعظمة القرآن المؤثر في النفس وتقوية معاني التقوى فيها ، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح ٨٠٤ ، ص ٣٨٣) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب" (الترمذي ، ب.ت : ح ٢٩١٣ ، ص ٦٥١) .

فالقرآن فيه الكثير من المعاني الطيبة ، فهو لا يهدي فحسب ، بل يبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأن لهم أجراً كبيراً عند ربّهم ، وهذه هي القاعدة الأصيلة في العمل والجزاء ، فلا إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان ، فبهما معاً تسير الحياة على الطريق الأقوم ، وبهما تتحقّق الهداية بهذا القرآن الكريم ، ولا إيمان ولا عمل دون أجر وثواب .

وللقرآن الكريم دوراً عظيماً في تربية الإنسان وتحقيق معاني التقوى في النفس ، ويكون ذلك عندما يُقرأ القرآن سواء في الصلاة أو في القيام أو التعبّد به لله تعالى .

ويظهر أن قراءة القرآن الكريم وتدبر آياته له أثر كبير في نفس المتقين ونجد له دلالات تربوية من خلال :

أ- هداية المتقين

تناولت آيات كثيرة هداية القرآن للمتقين ، ومعاني هذه الهداية تجعل في صفات المسلم المتقي طرق مختلفة تهديه إلى الحق مثل قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد ، آية : ١٧) .

والهدى والهداية في موضوع اللغة واحد ، حيث خص الله تعالى لفظ الهدى بما تولاه وأعطاه للإنسان المسلم ، نحو قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ، آية : ٢) .

قال البيضاوي : "والهدى في الأصل مصدر .. ومعناه الدلالة ، وقيل : الدلالة الموصلة إلى البغية ، لأنه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى : ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ ، آية : ٢٤) ولأنه لا يُقال مهدي إلا لمن اهتدى إلى المطلوب" (البيضاوي ، ١٩٨٨م : ١/١٦) .

وقال الألوسي : "الهدى عبارة عن الدلالة على الطريق الموصل" (الألوسي ، ب.ت : ١/١٧٧) .

لذلك يظهر ارتباط الهدى بالمتقين حسب معاني الآية القرآنية {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (البقرة ، آية : ٢) والتي تحدّث الله بها ليكون المتقي ذات دلالة هادية إلى الخير ، فالهداية عبارة عن الدلالة على الطريق الموصلة إلى البغية أو الخير ، ومعنى "هدى للمتقين" المراد منه الهداية التي بمعنى التوفيق الذي يختص به من اهتدى كما في قوله تعالى : {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} (محمد ، آية : ١٧) " (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ١٠١) .

قال البغوي في قوله تعالى {هدى للمتقين} : "أي هو هدى أي رشد وبيان لأهل التقوى ، وقيل هو نصب على الحال أي هادياً تقديره لا ريب في هدايته للمتقين والهدى ما يهتدي به الإنسان" (البغوي ، ١٩٩٧م : ٦٠/١) .

والله تعالى قد خص المتقين ووصفهم بالهداية بالقرآن تشريفاً وتكريماً لهم .

قال القرطبي : "خص الله المتقين بهدايته ، وإن كان هدى للخلق أجمعين تشريفاً لهم لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه ، وروي عن أبي روق أنه قال : هدى للمتقين ، أي كرامة لهم ، يعني : إنما أضافه إليهم إجلالاً لهم وكرامة لهم بياناً لفضلهم" (القرطبي ، ١٩٨٨م : ١١٣/١) .

من هذه التفسير فإن دلالة الهدى في القرآن الكريم قد ظهرت في صفات المتقين الذين ينتفعون به عندما يقوموا بدراسته وتلاوته وتدبر آياته ، فهو تربية روحية ودليل إلى الحق المستقيم من خلال اتباعه والعمل به .

فلا بد من الالتزام بالقرآن والقيام بمسؤولية التطبيق لأحكامه، كل على قدر مسؤوليته ، قال سعيد حوى : "إذا ما قام كل فرد من المسلمين على اختلاف مسؤوليتهم بهذا يقوم كتاب الله عز وجل ويقوم الإسلام ، ويكون المجتمع تقياً" (حوى ، ١٩٨٢م : ص ٢٣٥) .

ب- موعظة المتقين

للقرآن صفة التذكرة والوعظ للمتقين ، فهي بالنسبة لهم دليل وتذكير وتنبيه الضمير لمعاني الدليل التربوي للقرآن وآياته وقصصه المؤثرة في سلوكيات المجتمع والأفراد .

ويظهر في آيات التذكرة والموعظة للمتقين دلالات تربوية تؤدي إلى نهى المسلم عن المعصية وتجنب أثارها السيئة ، ولا يكون إلا للمتقين والتي منها قوله تعالى : {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} (النور ، آية : ٣٤) . وقال أيضاً : {وَأِنَّهُ لَتَنذِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} (الحاقة ، آية : ٤٨) .

فمعنى {وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} يدل على أن المتقين مطلوب منهم الانتهاء عما نهى الله عنه فيبتعدون عن المعاصي وعما نهى عنه ، فمعنى ذلك "أن المتقين مخصوصون بالانتهاء عما نهى الله عنه فينجزون عما فيه من النواهي ويتجنبون ما نهوا عنه"(الأطرش، ٢٠٠٢م : ص١٠٣) .

يقول قطب : "إن الكلمة الهادية لا يستشرفها إلا القلب المؤمن المفتوح للهدى ، والعظة البالغة لا ينتفع بها إلا القلب التقي الذي يخفق لها ويتحرك بها . والناس قلما ينقصهم العلم بالحق والباطل وبالهدى والضلال ، والقدرة على اختيار طريقه .. والرغبة في الحق والقدرة على اختيار طريقه لا ينشئها إلا الإيمان ، ولا تحفظهما إلا التقوى ، ومن ثم تتكرر في القرآن أمثال هذه التقريرات ، تنص على أن ما في هذا الكتاب من حق ، ومن هدي ، ومن نور ، ومن موعظة ، ومن عبرة .. إنما هي للمؤمنين وللمتقين ، فالإيمان والتقوى هما اللذان يشرحان القلب للهدى والنور والموعظة والعبرة ، وهما اللذان يزينان للقلب اختيار الهدى والنور والانتفاع بالموعظة والعبرة ، واحتمال مشقات الطريق ... وهذا هو الأمر ، وهذا هو لب المسألة .. لا مجرد العلم والمعرفة ... فكم ممن يعلمون ويعرفون وهم في حماة الباطل يتمرغون ، إما خضوعاً لشهوة لا يجدي معها العلم والمعرفة ، وإما خوفاً من أذى ينتظر حملة الحق وأصحاب الدعوة"(قطب ، ١٩٨١م : ٤٨٠/١) .

"إن التقوى ليس حالة خاصة تتبع العبادة والطاعة لله ، بل هي حالة تسبق ذلك ، وذلك بإخلاص القصد والتوجه لله ، حيث عبر عنها القرآن في أكثر من موضوع {هذا بيان للناس وموعظة للمتقين} هنا اعتبر القرآن التقوى سبباً لقبول الحق وقبول الموعظة ، وهي إشارة لنا بحسن التجرد لله في البحث عن الحق وأتباعه والوقوف عند حدوده"(عبدالله ، ١٩٩٤م : ص٤٦) .

فالقلب المؤمن التقي الذي يقرأ القرآن ينتفع به ويتأثر به تأثيراً حقيقياً ، فكلما زاد إيمانه وتقواه زاد انتفاعه بهذا القرآن الهادي إلى الحق . في المقابل نجد المنافق والكافر لا ينتفع به .

قال النسفي : "ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم ومثلاً من أمثال من قبلكم أى قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعنى قصة عائشة رضى الله عنها وموعظة ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله لولا إذ سمعتموه ولولا إذ سمعتموه يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا للمتقين أى هم المنتفعون بها وان كانت موعظة للكل"(النسفي ، ب.ت : ٥٠٨/٢) .

من النفاسير يظهر أن المتقين لهم الكرامة بالتزامهم معاني القرآن بالموعظة والتذكرة والتزام النواهي ، وهي من الدلالات الواضحة على أهمية التقوى في قلوبهم ، وكيفية تأثير القرآن

في نفوسهم من هذه التذكرة والموعظة ، فلا بد من أخذ دلائل الإيمان حتى يتحقق دور القرآن في القلوب ويؤثر فيه .

ج- تذكرة المتقين

فالقرآن الكريم له دور دلالي في نفوس المتقين الذين يتذكرون حين يسمعون أو يتلون كتاب الله عز وجل ويتحقق ذلك في قوله تعالى : **{وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}** (الحاقة ، آية : ٤٨) . تدل على مدى أن القرآن له مميزات التذكرة للكل ، لكن للمتقين أكثر إيقاظاً وتذكرة لقلوبهم وسلوكياتهم . قال الطبري : **"{ وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ }** يقول تعالى ذكره : وإن هذا القرآن لتذكرة يعني عظة يتذكر به ويتعظ به للمتقين وهم الذين يتقون عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك . حدثنا بشر قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد عن قتادة **{وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}** قال : القرآن" (الطبري ، ١٩٨٨ : ٦٨/٢٩) . وقال الشوكاني : **"{ وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ }** أي إن القرآن لتذكرة لأهل التقوى لأنهم المنفعون به" (الشوكاني ، ١٩٩٢ م : ٣٣٠/٥) . من هذه التفاسير فإن الذين انتفعوا بالقرآن هم المتقون ، فهذب سلوكهم بالالتزام به وذكرهم أن يلتزموا طاعة الله من خلال هذه التذكرة .

د- تذكرة أهل الكتاب

وهذه الدلالة تتحقق في أهل الكتاب الذين يلتزمون مفاهيم كتابهم الحقيقي فهو من كتب الله تعالى المنزلة على نبيهم ، فيجب الالتزام بتشريعاته المختلفة ليدل على أن كل الكتب المنزلة هي هادية ومذكرة لهم .

يقول الله تعالى : **{وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}** {المائدة ، آية : ٤٦} .

قال ابن كثير : **"{وهدى وموعظة للمتقين}** أي وجعلنا الإنجيل هدى يهتدى به وموعظة أي زاجرا عن ارتكاب المحارم والمآثم للمتقين أي لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه" (ابن كثير ، ١٩٩٠ م : ٦٢/٢) .

أي أن القرآن الكريم هادياً للمتقين وله دلائل التربية للنفس بالوعظ والزجر من الحرام والبعد عنه .

هـ- بشارة المتقين

وتتحقق هذه الدلالات في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَسِرَّنَاهُ بِلسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (مريم ، آية : ٩٧) .

قال أبو السعود : "فإنما يسرناه بلسانك العربي المبين لتبشر به المتقين أي الصائرين إلى التقوى بامتثال ما فيه من الأمر والنهي" (أبو السعود ، ١٩٩٤م : ٢٨٤/٦) .
هكذا يحث القرآن بدلالاته التربوية في نصيحة المؤمنين وتربيتهم على التقوى يدل على مدى عظمة القرآن في التأثير الإيماني والسلوكي والتربوي في علاج النفس والوصول بها إلى درجات التقوى .

خلاصة :

القرآن الكريم منذ نزوله وحتى الآن يقوم بالدور الأكبر في التأثير على النفوس وتربيتها وهدايتها إلى الحق ، وقد نظرنا في الكثير من التفاسير والشواهد فوجدنا أن القرآن الكريم له دلالات تربوية على الفرد المسلم وسلوكاته وإيمانياته تُساعده في الالتزام بما أمر الله في القرآن الكريم وهي :

- ١- تربط المسلم بالله عز وجل من خلال التلاوة والتعبد به .
- ٢- تحذره من الوقوع في المنكر من خلال الوعظ والتذكرة والزجر والنهي .
- ٣- تقوّم سلوكه من خلال تربيته على الطاعة والالتزام كما تحدث القرآن في ذلك .
- ٤- تربّي الجيل على فهم حقيقة العبادة الخالصة لله تعالى .
- ٥- تربية النشأ على القرآن تربية لهم ولسلوكلهم .
- ٦- ترغيب المسلم بحب القرآن وتلاوته والتعبد به .
- ٧- تعلم مبادئ الأخلاق القرآنية في التعامل والسلوك .
- ٨- تنمية روح الاعتزاز لدى الطالب بإسلامه وهويته وكتاب ربه .
- ٩- فتح آفاق جديدة وواسعة أمام الشباب على معاني القرآن ، وحقائقه الفذة تفجر الطاقات الإبداعية .
- ١٠- تقديم القرآن بطريقة مشوقة فيها أسلوب العصر وسرعته وإغراؤه ، وفيها أصالة التراث الإسلامي وخلوده وعظمته .
- ١١- تخريج دفعات مؤهلة للتدريس والتربية على ضوء القرآن الكريم ، وتولي إمامة المصلين في المساجد .

١٢- تقويم السنة الطلاب والعمل على إجادة النطق السليم للغة العربية وإثرائهم بجملة وافرة من مفرداتها وأساليبها .

ثالثاً : دلالات التقوى التربوية لاستغفار المتقين

الاستغفار هو أن يطلب مغفرة الذنوب من الله تعالى ، فالإنسان بطبيعته يُخطئ ويقع في بعض الأخطاء ؛ لأنه إنسان ، وليس هذا عيباً بل إن العيب أن يُصرَّ على الذنب . لكن المتقي إذا ما أذنب لجأ إلى الله وأتاب واستغفر فقال صلى الله عليه وسلم : "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ، ولجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح٢٧٤٩، ص١٤٢٦) .

قال الجزائري : "والمراد منها التخلي عن سائر الذنوب والمعاصي ، والندم على كل ذنب سالف ، والعزم على عدم العودة إلى الذنب في مقبل العمر" (الجزائري ، ١٩٧٦م : ص٨٤) .
قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..﴾ (التحریم ، آية: ٨) . وقال تعالى : ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور ، آية: ٣١) .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح٢٧٥٩، ص٢٧٥٩) .

فالتوبة والاستغفار لها أثر كبير في ميزان الله تعالى ، والذي يتقرب به إلى الله بتوبته وطلب المغفرة والتذلل لذي الجلال والإكرام ، ويفرح الله بعودة عبده الخاطئ ، حيث ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فأضطجع في ظلها - قد أيس من راحلته - فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك - أخطأ من شدة الفرح -" (مسلم، ٢٠٠٢م: ح٤٧٤٧، ص١٤٢٥) .
وهذا يُعتبر دلالة على مدى تقوى هؤلاء الذين دخل الإيمان قلوبهم لكنهم أذنبوا فاعترفوا فأقيم عليهم الحد فطهرهم الله .

ولذلك فإن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً برحمته وعفوه وهو القادر على كل شيء، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده حيث قال : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر، آية: ٥٣) ، وباب التوبة مفتوح لمن أراد أن يدخله فنجد أن الله تعالى يقبل الذين يعودون إليه ويغفر لهم كما ورد عن النبي صلى

الله عليه وسلم أنه قال : "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه"(مسلم ، ٢٠٠٢م:ج٢٧٠٣،ص٠)

فالله يغفر الذنوب جميعاً ويبدلها إلى الحسنات لقوله تعالى : **{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}**(الفرقان، آية: ٧٠) .

قال ابن كثير : "إن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات ، وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار ، فيوم القيامة وإن وجد مكتوباً عليه فإنه لا يغيره وينقلب حسنة في صحيفته ، كما ثبتت السنة بذلك وصحت به الآثار المروية عن السلف رضي الله عنهم"(ابن كثير، ١٩٩٠، ٣/٣١٦) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير الاستغفار حيث قال : "والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"(ابن ماجه، ب.ت:ح٣٨١،ص٦٢٩) .

فالتوبة ضرورة مهمة في حياة المسلم وتقربه إلى التقوى والإيمان بالله عز وجل وتجعله دائم التذكر لما يجد من شعور التائب للنفس ، وهذا فقط للذي عرف طريق التقوى ودلائل الإيمان الدالة عليه .

"وفي الاستغفار شعور بالذنب والتقصير وصلة بالله تبارك وتعالى ورجاء لرحمته ولهذا كان الاستغفار من صفات المؤمنين المتقين ، فالمؤمن النقي يكون دائم الصلة بالله سبحانه وتعالى ويشعر بالرقابة الدائمة له وأن الله واسع المغفرة ويكون مقتدياً بإمام المتقين محمد صلى الله عليه وسلم"(الأطرش، ٢٠٠٢م:ص١١١) .

ومن صفاتهم أنهم يستغفرون الله تعالى ، وخصوصاً في أوقات معينة ومميزة في الليل ، حيث قال تعالى مادحاً المتقين المستغفرين : **{وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}**(الذاريات، آية:١٨)، وقوله تعالى : **{... وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}**(آل عمران، آية:١٧) وغيرها من الآيات التي تؤكد على استغفار المتقين وأوبتهم إلى الله تعالى .

وللمستغفرين دلالات تربوية للمسلم تؤكد على التزامهم بالصفات التي ذكرها الله تعالى بهم وجعلهم يستحقون هذه الصفة وهي :

أ- استغفار المتقين

الاستغفار هو مغفرة الذنوب . قال ابن منظور في أصل الاستغفار : "وأصل الغفر : الستر والتغطية . وغفر الله ذنوبه أي سترها .. واستغفر الله ذنبه -على حذف الحرف- طلب منه غفره"(ابن منظور، ١٩٩٣م : ١٠/٩١ ، مادة "غفر") .

وفي المعجم الوسيط : "غفر الشيء : ستره ، ويُقال غفر الشيب بالخضاب : غطاه .. واستغفر الله ذنبه ومن ذنبه ولذنبه طلب منه أن يغفره"(أنيس ، ١٩٧٢م ، ص٦٨٨ :مادة"غفر") .

قال القرطبي : "السحر هو السدس الآخر"(القرطبي ٢٠٠٦م ، ٦٠/٥) .

ولذلك نتيجة لهذه الأقوال فإن وقت الاستغفار في هذه الساعة له شأن عظيم عند الله سبحانه وتعالى ، ولا يكون إلا للذين يكون عندهم الصبر والإيمان ليقوموا بالاستغفار في هذه الساعة ، وقد مدح الله المتقين بهذه الصفة لقيامهم هذه الساعة بأنهم يستغفرون الله بالأسحار ، كما ورد في القرآن **{كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}**(الذاريات ، آية :١٧-١٨) .

والحكمة من تخصيص هذه الساعة في وقت السحر بالاستغفار بسبب أنها أفضل الأوقات للعبادة والدعاء والاستغفار والإنابة إليه .

قال رضا : "وحكمة تخصيص السحر : أن العبادة تكون حينئذ أشق على أهل البداية ؛ لأنه الوقت الذي يطيب فيه النوم ويعزب الرياء ، وأرواح لأهل النهاية لأن النفس تكون أصفى ، والقلب أفرغ من الشواغل"(رضا ، ب . ت : ٢٥٣/٣) .

وقال الرازي : "إشارة إلى أنهم لا يخلون وقتاً عن العبادة ، فإنهم بالليل لا يهجعون ، ومع أول جزء من السحر يستغفرون ، فيكون فيه بيان كونهم مستغفرين من غير أن يسبق منهم ذنب ؛ لأنهم وقت الانتباه في الأسحار لم يخلو الوقت للذنب"(الرازي ، ١٩٨١م :٢٠٤/١٤) .

لذلك فإن هذه الدلالة التربوية لبناء النفس على الطاعة في وقت خاص يجعل المؤمن دائم المراقبة وحث نفسه على الاستغفار ، وكذلك محبة الله تعالى حتى يكون من أهل التقوى والإيمان .

فلا بد لنا أن نلجأ إلى الله بالتهجد والاستغفار وتربية النفس على العبادة الخاصة وترك هوى النفس الأمانة بالسوء ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، وهذه من صفات ودلائل المتقين ، "حيث ورد أن يعقوب أنه أخرج استغفاره لبنية إلى وقت السحر"(الأطرش ، ٢٠٠٢م :ص١١٤) كما ورد عن المفسرين قال الله تعالى : **{قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ}**(يوسف، آية:٩٨) .

قال البيضاوي : "أخره إلى السحر أو إلى صلاة الليل أو إلى ليلة الجمعة تحريماً لوقت الإجابة أو إلى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم فإن عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي أنه استقبل القبلة قائماً يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أدلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد موثيقهم بعدك على النبوة وهو إن صح فدليل على نبوتهم وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم"(البيضاوي، ١٩٨٨م : ص ٤٩٦/١) .

فالدلالات على أن وقت السحر هو أفضل الأوقات للدعاء والاسئغال والتوبة والمناجاة كما كان يفعل المتقون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما دلل على أن الأنبياء لهم فضل الدعاء في هذه الأوقات .

ولا بد من التوبة النصوح حتى تتصف بصفات المتقين ، وشروط التوبة كما الإمام النووي: "قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاث شروط : أحدها : أن يقلع عن المعصية ، والثاني : أن يندم على فعلها ، والثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً . فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته ، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة : هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه ، وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفو ، وإن كانت غيبة استحلها منها ، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب" (النووي ، ٢٠٠٣م : ص ٢٠) .

فالمستغفرين بالأسحار لهم شأن مع التقوى الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز ووصفهم بها ، مما يدل أنهم يستحقون هذا الثناء لأنهم أهل له ، بسبب التزامهم هذه الدلائل التي أهلتهم ليكونوا من المتقين .

ب- عدم الإصرار على المعصية

من صفات المتقين أنهم لا يُصرّون على المعصية ، ويخافون الوقوع فيها وهي من أدلة الإيمان التي اتصف بها هؤلاء المتقون ، وتعتبر دلالة تربوية لصفات التقوى في نفوسهم . قال الله تعالى في وصفهم : { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِنْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (آل عمران، آية: ١٣٥) .

"فالفاحشة ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال ، وظلم النفس لعل المراد به هنا الذنب" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ١١٨) .

فالإصرار على الذنب ظلم للنفس ، ويُعتبر تجاوز لحد من حدود الله . قال البيضاوي : " { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً } .. فعلة بالغة في القبح كالزنى ، وقوله : { أَوْ ظَلَمُوا } : بأن أذنبوا أي ذنب كان . وقيل : الفاحشة الكبيرة ، وظلم النفس الصغيرة" (البيضاوي ، ١٩٨٨م : ١/ ١٨٠) .

"قالمتقون فإنهم إن وقع منهم ذنب سواء كان كبيراً وعظيماً والتي سماها {الفاحشة} أو أذنبوا ذنباً صغيراً والتي سماها {ظلموا أنفسهم} يُسارعون ويتذكرون حق الله تعالى ويتذكرون عقابه ويتذكرون عفوهم فيستغفرون الله عما وقع منهم" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ١١٩) .

ففي هذه المعاني أقرب الناس إلى التوبة وعدم الإصرار على الذنب ، حيث روى البخاري عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأنزل الله : **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزَلْفًا مِنَ اللَّيْلِ}** فقال الرجل : يا رسول الله ، ألي هذا ؟ قال : "لجميع أمتي كلهم" (مسلم ، ٢٠٠٢م: ح٢٧٦٣ ، ص١٤٣٣) .

من خلال التفاسير يظهر معنى عدم الإصرار على المعصية رغم اختلاف مسميات الفاحشة والظلم للنفس ، أنهم لا يزيدون في الإصرار دليل على قوة إيمانهم وتقواهم الذي وصفهم الله بها . ولذلك يقول الله تعالى : **{ذُكِّرُوا اللَّهَ}** ، قال الألوسي : "أي تذكروا حقه العظيم ووعيده ، أو ذكروا العرض عليه، أو سؤال عن الذنب يوم القيامة أو نهيه أو غفرانه" (الألوسي، ب.ت: ٩٥/٣) . تقول نائلة : "وهؤلاء التوابون ، إذا ما اقتترفوا الذنوب ، تراجعوا عنها فتابوا وأنابوا وندموا وذكروا الله عز وجل في نفوسهم ، وطلبوا منه الغفران عن هذه الذنوب ، وأعلنوا توبتهم وندمهم" (صبري ، ١٩٩٨م : ٦٩/٢) .

وقال الزمخشري : "وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة ، وإن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له ، وإنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه .. وفيه تطيب لنفوس العباد ، وتتشيط للتوبة وبعث عليها ، وردع عن اليأس والقنوط ، وإن الذنوب إن جلت فإن عفوه أجل ، وكرمه أعظم" (الزمخشري ، ١٩٧٢م : ٤٦٤/١) .

فعمد الله كبير ورحمته واسعة للمتقين المقبلين إليه تائبين ، وذلك أن هذا يُدلل على أن المتقين أقرب الناس لذكر الله عند الخطأ والعودة له .

لذلك لا بد من التوبة ، وهي ضرورية للمتقين الذين يخشون الله تعالى ، فقد قال الله تعالى : **{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا}** (نوح ، آية : ١٠) .

قال سعيد حوى : "ولكن كما أن المؤمن لا يقنط من رحمة الله فهو كذلك دائم الخوف من الله دائم الشعور بذنبه وتقديره ، دائم الخوف من الزلزال" (حوي ، ١٩٨٢م : ص١٨٩) .

وقوله تعالى : **{وَلَمْ يُصِرُوا}** . قال ابن كثير : "أي تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب ، ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها ، ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه" (ابن كثير ، ١٩٩٠م : ٣٨٥/١) .

قال حوى : "والإصرار المقصود به الثبوت على الذنب من غير استغفار ، أما من كان يتوب كلما وقع ذنباً بشروط التوبة فإنه لا يُعتبر مصراً ولو عاد إلى الذنب نفسه" (حوي ، ١٩٨٢م : ص٢٥٥) .

ولذلك ورد في الحديث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة" (أبو داود ، ب.ت : ح: ١٥١٤ ، ص ٢٣٣) .

من خلال ما ذكر من التفاسير والدلائل لعلماء التفسير ، فهي تشير إلى عظمة الله تعالى في مغفرة الذنب وأنه واسع المغفرة ، ولا يكون ذلك إلا لمن تذكر وأناب إليه وعاد بالتوبة والاستغفار ، ورغم وقوع العبد في الذنب ، نجد أن الله تعالى لم يُقنطه من رحمته بل فتح له باب الرجوع والالتزام بأداب التوبة وعدم الاستهتار بها .

فهذا دليل تربوي للنفس وتهذيبها بمعايير الإيمان والتقوى ، يجعل المسلم يتأمل جلياً في هذه المعاني وهذه الدلائل المفيدة التي تُوجهه إلى الرجوع إلى الله بالاستغفار ، والمسارعة إلى مغفرة الله وجنته الموعودة للمتقين .

من هذه الشواهد فإن المتقون لهم فضل الابتعاد عن المعاصي بمجرد تذكرهم لها، وكذلك درجات التربية لديهم عظيمة ودلالات واضحة في مفهوم التقوى لديهم ومعانيه الكبير ، والقدرة على تطبيقها لديهم ، وكذلك يجب أن نربي النفس على الاستعاذة من الشيطان الرجيم والذكر حتى لا يتقدم إلينا ويبتعد عنا .

خلاصة : يظهر مما سبق أن هناك دلالات وآثار تربوية تُساعد في تربية المسلم وهي :

- ١-تربي النفس على التقوى والإيمان .
- ٢-تجعل الإنسان دائم المراقبة والتوبة .
- ٣-تعمل على الطمع في رحمة الله تعالى .
- ٤-استشعار الخوف من الله .
- ٥-حث النفس على دوام الاستغفار طمعاً في المغفرة .

رابعاً : دلالات التقوى التربوية في مجال القنوت

وصف الله المتقين بالقنوت ، وهو طاعة الله عز وجل مع الخضوع له ، قال الله تعالى في ذلك الوصف لهم : **{قُلْ أُوْنِبْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ*الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}** (آل عمران، آية: ١٥-١٧) .

للمتقين نفحات إيمانية يتصف بها هذا الصنف عند الله ، أنهم في جنات تجري من تحتها الأنهار ، لذلك نجد القنوت له درجات رفيعة عند الله وصف بها عباده المتقين ، ومن هؤلاء الذين وصفهم المقربين عند الله قول الله تعالى : {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (النحل ، آية : ١٢٠) .

وقد وصف الله تعالى نبيه إبراهيم بالقنوت ؛ لأنه عبد من عباده المقربين بصفة تقواه وعبادته وتوكله على الله .

قال ابن كثير : "يمدح تعالى عبده ورسوله وخليته إبراهيم إمام الحنفاء ووالد الأنبياء وبيرته من المشركين ومن اليهودية والنصرانية فقال : {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا} فأما الأمة : فهو الإمام الذي يقتدى به والقانت : هو الخاشع المطيع والحنيف : المنحرف قصدا عن الشرك إلى التوحيد ولهذا قال : {وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} قال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين : أنه سأل عبد الله بن مسعود عن الأمة القانت فقال : الأمة معلم الخير والقانت : المطيع لله ورسوله وعن مالك قال : قال ابن عمر : الأمة الذي يعلم الناس دينهم وقال الأعمش عن يحيى بن الجزار عن أبي العبيدين أنه جاء إلى عبد الله فقال : من نسأل إذا لم نسألك ؟ فكان ابن مسعود رق له فقال : أخبرني عن الأمة فقال : الذي يعلم الناس الخير" (ابن كثير ، ١٩٩٠م : ص ٥٧١/٢) .

لذلك فإن دلائل القنوت في معاني التقوى لسيدنا إبراهيم هو الطاعة لله تعالى والالتزام بالحق الذي أرسل إليه وتعليمه للأمة والتمسك بالعقيدة السليمة .

وفي معنى القنوت يظهر أن معناه كما وصفه الراغب : "القنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع وفُسْرَ بكل واحد منهما في قوله تعالى : {... وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} (البقرة ، آية : ٢٣٨) ، وقوله تعالى : {كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ} (البقرة ، آية : ١١٦) . قيل : خاضعون ، وقيل : طائعون ، وقيل : ساكتون ، ولم يعن به كل سكوت ، وإنما عني به ما قال عليه الصلاة والسلام : "إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيء من كلام الأدميين : إنما هي قرآن وتسييح ، وعلى هذا قيل : أي الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت ، أي الاشتغال بالعبادة ورفض كل ما سواه" (الأصفهاني، ١٩٩٢م : ص ٦٨٥ ، مادة "قنت") .

قال ابن كثير : "أي خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه ، وهذا الأمر مستلزم ترك الكلام في الصلاة لمنافاته إياها" (ابن كثير ، ١٩٩٠م : ٢٧٩/١) .

فأصل معنى القنوت هو : الطاعة مع الخضوع ، إذا فُسِّرَ معناه بعبارات أخرى فإنه ينطوي تحت هذا المعنى ، وقد وصف الله المتقين بالقنوت وهذا يشمل الصلاة وغيرها (الأطرش، ٢٠٠٢م: ص ١٣٢) .

من هذه الأدلة على أن المتقين لهم هذه المميزات في وصف الله تعالى الذين يلتزمون الطاعة والمداومة على العبادة والخضوع لله في نفسياتهم ، نجد أن القرآن تحدث في الآيات الواردة في سورة آل عمران حيث قال : **{الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}** (آل عمران ، آية : ١٥-١٧) .

قال البيضاوي : **"{الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}** حصر لمقامات السالك على أحسن ترتيب فإن معاملته مع الله تعالى إما توسل وإما طلب والتوسل إما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما وإما بالبدن وهو إما قولي وهو الصدق وإما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة وإما بالمال وهو الإنفاق في سبل الخير وإما الطلب فبالإستغفار لأن المغفرة أعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينهما للدلالة على إستقلال كل واحد منهما وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الأسحار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة لأن العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروح أجمع للمجتهدين قيل إنهم كانوا يصلون إلى السحر ثم يستغفرون ويدعون" (البيضاوي ، ١٩٨٨ م : ١٥٢/١) .

فالقنوت يُعتبر من الدلائل الإيمانية للمتقين بتقربهم على الله تعالى وصل قلبهم بالخضوع والخشوع حتى يكتب الله لهم درجات عالية في الجنة .. وهذا ما صف به الذين يتهددون بالليل حيث قال الله تعالى فيهم : **{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ}** (الزمر، آية : ٩) .

لذلك فإن هذا الوصف للقانتين يتحلى به المتقين فقط الذي يخافون الآخرة ويسجدون لله تعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ولا يكون ذلك إلا بتربية النفس على هذه المعاني .

خلاصة : من الفوائد والدلالات التي يُمكن أن تُساعد في تربية النفس على تقوى الله وهي :

- ١- تربية المسلم على الخضوع لله تعالى .
- ٢- استشعار قيمة التذلل لله تعالى بالدعاء والتضرع له .
- ٣- تربية الأبناء على قيمة القوت والدعاء .
- ٤- المشاركة الوجدانية بالدعاء في أوقات القنوت .
- ٥- الإحساس الداخلي بعظمة الله تعالى عندما يبدأ بالقنوت والدعاء

الفصل الخامس

الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الأخلاقي السلوكي

- تمهيد

أولاً : العمل بالإحسان دلالة تربوية للتقوى

ثانياً : التحلي بالصبر دلالة تربوية للتقوى

ثالثاً : العمل بكظم الغيظ والعفو دلالة تربوية للتقوى

رابعاً : التزام الصدق دلالة تربوية للتقوى

خامساً : التزام الوفاء بالعهد دلالة تربوية للتقوى

تمهيد

الأخلاق في الإسلام صفة طيبة من صفات المتقين حيث أن هذه حفظ القيمة لها تأثير كبير في حياة المسلم ، والتي تجعله يعيش في مجتمع إسلامي يتكون من مجموعة أخلاق تحكم علاقات المسلمين بعضهم بعضاً مرتكزة على أسس القرآن والسنة حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم : "أي المؤمنين أكمل أخلاقاً ؟ قال : أحسنهم خلقاً" (أبو داود، ب.ت: ح: ٤٦٨٢، ص: ٧٠٢) . وقال أيضاً : "ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ؟ -فأعادها مرتين أو ثلاثاً- قالوا نعم يا رسول الله . قال : أحسنكم أخلاقاً" (ابن حبان ، ١٩٨٧م: ح: ٤٨٥، ٣٥٢) .

لذلك نجد أن الأخلاق هي عنوان الشعوب ، وقد حثت عليها جميع الأديان ، ونادى بها المصلحون ، فهي أساس الحضارة ، ووسيلة للمعاملة بين الناس .

فالأخلاق الإسلامية هي الأخلاق والأداب التي حثَّ عليها الإسلام وذكُرت في القرآن الكريم والسنة النبوية ، اقتداءً بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو أكمل البشر خلقاً لقول الله عنه : **{وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}** (القلم ، آية : آية٤) . وقال عليه الصلاة والسلام "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (البخاري ، ١٩٨٥م : ١/٢٧١) .

وقال الغزالي في كتابه خلق المسلم : "إن الإسلام يحترم الفطرة الخاصة ويرى تعاليمه صدى لها ، ويحذر الأهواء الجامحة ، ويُقيم السدود في وجهها والعبادات التي أمر بها فهي تدعيم للفطرة ، وترويض للهوى ، لن تبلغ هذه العبادات تمامها وتؤدي رسالتها إلا إذا كانت كلها روافد لتكون الخلق العالِي والمسلِك المستقيم" (الغزالي : ١٩٨٠م : ص: ٢٨) .

"إن تقوى الله عز وجل تصنع الإنسان الصالح ، ولا أقول المواطن الصالح ، وشتان بينهما ، الإنسان القوي دينه ، المخلص لأُمَّته ومجتمعه ، الإنسان الصادق ، العامل، المتقن لعمله ، إن هذا الإنسان يكون مع الأفراد مجتمعاً صالحاً قوياً متماسكاً متكاملًا مطيعاً ، هذا المجتمع يلتزم في كل شؤون حياته بأوامر ربه" (أبو عودة ، ٢٠٠٤م : ص: ٥) .

فمجموعة الأخلاق الإسلامية تُؤدِّي إلى صقل شخصية المسلم بالأداب والعبادات التي تترتب على فعلها ، بحيث يكون إنساناً صالحاً مستقماً في المجتمع لا يكذب ولا يشتم وغير ذلك من الآداب الإسلامية .

من خلال هذه العادات كان لنا وقفة تربوية لمجموعة من الآداب المتعلقة بصفات المتقين الذين قاموا بهذه السلوكيات التي جعلتهم يتصفون بصفة خاصة بهم وثناءً من الله لهم لالتزامهم هذا السلوك للخلق الطيب والعمل به .

من هذه الصفات والسلوكيات التي نادى بها الله في القرآن الكريم لهؤلاء المتقين والدلائل التربوية ذات العلاقة بالتقوى وهي :-

أولاً : العمل بالإحسان دلالة تربوية للتقوى

الإحسان سلوك طيب في حياة الإنسان ، به يرتقي إلى درجة الإيمان والتقوى ويتحصّل الأجر من الله والمنزلة الطيبة عند الله في الجنة .

ومعنى الإحسان مأخوذ من فعل الحسن ويُسمّى الإحسان بتسميات مختلفة أو معاني متعددة مثل : "وإن كان إحساناً إلى الغير .. سُمّي إنعاماً ، وإن كان إحساناً في العمل سُمّي إتقاناً وإجادة" (الأطرش ، ٢٠٠ ، ص ١٥٣) .

يقول سابق : "الإحسان ينتظم معنيين : أ-الإتقان والإجادة . يُقال أحسن فلان عمله إذا أتقنه وأجاده ، ومنه قوله تعالى : {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} (سورة السجدة، آية : ٧) . ب-الإنعام على الغير . يُقال : أحسن فلان إلى فلان ، إذا تفضل عليه وأبره ومنه قول الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان" (سابق ، ب.ت : ص ١٥٠) .
يقول عمرو خالد : "إن الإحسان بكل بساطة هو الاتقان ... وهو من صميم أخلاق الإسلام ... وهو ما ينقصنا ... نعم ينقصنا الاتقان في العمل" (خالد ، ٢٠٠٣ م : ص ٨٧) .
ولأهمية الإحسان ودرجته العالية وقيمه التربوية لبناء النفس الإيمانية والارتقاء بها إلى مدارج العارفين قال ابن القيم : "منزلة الإحسان وهي لب الإيمان ، وروحه وكماله ، وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل ، فجميعها منظومة فيها" (ابن قيم الجوزية ، ب.ت : ص ٤٨١) .
وقد أمر الله تعالى وحثّ على الإحسان والعمل به ، دلالة على محبة الله لهم حيث قال :
{.... وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (البقرة، آية : ١٩٥) . وقال أيضاً : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النحل، آية : ٩٠) .

فدرجة الإحسان لها قيمة دلالية في تربية النفس على الطاعة والتقوى ، حيث ورد في تفسير آيات الإحسان في التقوى وصفات المتقين الذين اتصفوا بها قوله تعالى : {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ} (الذاريات : آية ١٦) .

فقد وصفهم الله تعالى لدرجة إحسانهم أنهم يُؤدون أعمالهم كاملة وطاعتهم الله تعالى بصورة كاملة وشاملة ، قال سعيد حوى : " فالمحسنون : من أحسنوا مع الله في العبادة ، ومع خلق الله في المعاملة " (حوى ، ١٩٨٢ م : ص ٢٥٤) .

ومن النظر إلى هذه المعاني للإحسان في هذه الآية يذكر المفسرون درجات الإحسان والتي منها تفاسير تحدثت عنها وربطتها بالتقوى .

قال الطبري : "إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ" يقول : إنهم كانوا قبل أن يفرض عليهم الفرائض محسنين يقول : كانوا قبل ذلك مطيعين" (الطبري ، ١٩٨٨م : ١٣/١٩٦) .

فالدلائل التي تحدثت عنها التفاسير بخصوص التقوى في مجال الإحسان ووصولهم إلى هذه الدرجة هو أعمالهم التي كانوا قد عملوها فاستحقوها بهذا الخلق الذي ربطهم بدليل الإحسان .

قال أبو السعود : "عبر عنهم بالمحسنين إيداناً بأن النعوت المعدودة من باب الإحسان الذي هو الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق" (أبو السعود ، ١٩٩٤م : ٢/٨٦) .
من خلال ما سبق فإن الدلالة التربوية للإحسان في التقوى نجدها في هذه السلوكات التي يقوم بها المتقون ويحافظون على الالتزام بها ليتحصّل لهم حُسْنُ العبادة والتقوى في الدنيا والآخرة .

ولو نظرنا إلى مناقب الإحسان ووسائله في تنمية التقوى نجدها في مجالين :

أ - الدلالة التربوية للتقوى في مجال الإحسان في العبادة

فالعبادة لها مفهوم كبير وشامل في الإسلام ، فهي لا تستند إلى الشعائر فقط بل تشمل كل مناحي الحياة المختلفة وخصوصاً أنه يُبتغى بها وجه الله تعالى ويُثاب عليه العبد الطائع لله . يقول سعيد حوى في معاني العبادة : "إن معنى العبادة في الإسلام واسع جداً . فالصلاة عبادة ، والصوم عبادة ، والحج عبادة ، والسعي على العيال عبادة ، والجهاد عبادة ، ورحمة الأولاد عبادة ، وتأديبهم عبادة ، وإكرام المؤمن عبادة ، وملاعبة الزوجة وجماعها عبادة ، وكل مباح تنوي به وجه الله عبادة ، فإذا نمت بقصد الاستعانة على تقوى الله بنشاط ، أو أكلت بنية شكر الله والتقوى على طاعته فإن ذلك عبادة ، وعلى هذا فعندما قال عليه السلام : "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" فكأنه أراد أن نبقى في حالة دائمة من هذا الشعور اليقظ ، إذا ما أردنا أن نتحقق بالإحسان . والمحسن من أخذ من كل شيء أحسنه أو بقي في دائرة الحسن ولم يتجاوزَه إلى القبيح، وكان في هذا كله شاعراً بأنه كأنه يرى الله، أو أن الله يراه" (حوى ، ١٩٨٢م : ص ١٧٩-١٨٠) .

فالإحسان بالنسبة للمتقين الذي يتصفون بالعبادة وكمال الطاعة هي صفة ذات دلالة خاصة لهم بتربية أنفسهم على ذلك وإحسان طاعتهم لله على أكمل وجه .

ب - الدلالات التربوية في مجال الإحسان في المعاملات

والإحسان في المعاملة تشمل تعامل الناس مع بعضهم البعض ، أي يقوم كل شخص في المجتمع بتقديم شيئاً للآخر من منظور التعامل .

ونجد دلالات التربوية في مجال الإحسان في المعاملات :

١-الإحسان إلى الوالدين

وهذا ما يظهر في مجالات التعامل مع الناس أفضلها هو التعامل مع الوالدين ، وهذه خصوصية لهما رغم أن الله تعالى حث على الإحسان للجميع ، لكن هذا التخصيص للوالدين من باب تقوى المسلم . قال الله تعالى : **{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..}**(الإسراء، آية : ٢٣) .

قال أبو السعود : " وبالوالدين أي : وبأن تحسنوا بهما أو وأحسنوا بهما إحساناً لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما إما مركبة من أن الشرطية وما المزيدة لتأكيدهما ولذلك دخل على الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع أن حقه التأخر عنه للتشويق إلى وروده فإنه مدار تضاعف الرعاية والإحسان"(ابو السعود ، ١٩٩٤م : ١٦٦/٥) .

في هذا المجال تتكون الدلالة التربوية للتقوى في بر الوالدين والإحسان إليهما طريقاً إلى الجنة واتباع السلوك الأخلاقي في التعامل مع الوالدين ليتحقق مبدأ الإحسان في ذلك . وقد وردت أحاديث كثيرة في الإحسان إلى الوالدين والبر بهما حيث أن عبدالله ابن مسعود قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أيُّ العمل أحبُّ إلى الله تعالى ؟ قال : "الصلاة على وقتها " . قلت : ثم أيُّ ؟ قال : "بر الوالدين " . قلت : ثم أيُّ ؟ قال : "الجهاد في سبيل الله"(مسلم ، ٢٠٠٢م : ح٨٥، ص٦٣) .

٢-الصبر والتقوى مع الإحسان

ويظهر ذلك قد تحقق للمتقين في آيات القرآن الكريم وعلاقته بصفات الإحسان والتي تدل على مدى محبة الله لهم وحثهم على الإحسان نظراً لثمرتها الطيبة في التعامل مع النفس ومع الناس ، حيث وصف الله تعالى في آية الصبر والتقوى بأنه من المحسنين .

قال الله تعالى: **{.. إِنَّهُ مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}**(يوسف، آية: ٩٠). قال أبو السعود : " إنه من يتق أي يفعل التقوى في جميع أحواله أو يق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه . ويصبر على المحن أو على مشقة الطاعات أو عن المعاصي التي تستلذها النفس . فإن الله لا يضيع أجر المحسنين أي أجرهم وإنما وضع المظهر موضع المضمرة تنبيهاً على أن المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالإحسان"(أبو السعود ، ١٩٩٤م : ٣٠٤/٤) .

من هذه الأقوال فإن دلالة الإحسان في التقوى صفة لا تنفك عنها ، وهي درجة رفيعة اتصف هؤلاء المتقين بالثناء من الله تعالى حيث قال : **{الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ}**(آل عمران، آية : ١٧٢) .

قال البيضاوي : " { للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم } بجملته ومن البيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لأن المستجيبين كلهم محسنون متقون" (البيضاوي ، ١٩٨٨م : ١/١٩٠) .

لذلك فصفة الإحسان والتقوى ليست إحداهما منفصلة عن الأخرى بل هما صفتان مكملتان .

٣- المعية الإلهية للمتقين المحسنين

لقد ربط الله تعالى الإحسان بالتقوى في آن واحد وأنه معهم خصوصاً الذين جمعوا هاتين الصفتين التقوى والإحسان بقوله تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** } (النحل ، آية : ١٢٨) .
والمعية في التفسير كما قال ابن عاشور : "مجاز في التأييد والنصر" (ابن عاشور ، ب.ت: ٣٣٨/١٤) .

وقال الشوكاني : " { إن الله مع الذين اتقوا } أي اتقوا المعاصي على اختلاف أنواعها { والذين هم محسنون } بتأدية الطاعات والقيام بما أمروا بها منها وقيل المعنى : إن الله مع الذين اتقوا الزيادة في العقوبة والذين هم محسنون في أصل الانتقام فيكون الأول إشارة إلى قوله : { فعاقبوا بمنزل ما عوقبتم به } والثاني إشارة إلى قوله { ولئن صبرتم لهو خير للصابرين } وقيل { الذين اتقوا } إشارة إلى التعظيم لأمر الله { والذين هم محسنون } إشارة إلى الشفقة على عباد الله تعالى" (الشوكاني ، ١٩٩٢م : ٣/٢٣١) .
في هذا السياق يظهر أن المتقين الذين يُحسنون في حياتهم يكونون في معية الله ، ويتعهدهم بالخير في جميع أحوالهم .

٤- الفوز بالحسنات

وقد ذكر الله تعالى درجات الإحسان للعباد والمؤمنين بدرجة كبيرة ومقام عالي في الجنة حيث قال : { **قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** } (الزمر ، آية : ١٠) .
قال الطبري في تفسير ذلك : " { قل } يا محمد لعبادي الذين آمنوا : { يا عباد الذين آمنوا } بالله وصدقوا رسوله { اتقوا ربكم } بطاعته واجتناب معاصيه { للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة } . ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم : معناه : للذين أطاعوا الله حسنة في هذه الدنيا وقال في من صلة حسنة وجعل معنى الحسنات : الصحة والعافية" (الطبري ، ١٩٨٨م : ١٢/٢٠٣) .

قال ابن قيم الجوزية : "فماز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة ، وحصلوا على الحياة الطيبة في الدارين ، فإن طيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذته وابتهاجه وطمانينته وانشراحه ونوره وسمعته وعافيته ، من ترك الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة هو النعيم على الحقيقة " (ابن قيم الجوزية ، ب.ت :ص ١٤٤) .

من هذه الأقوال والتفسير فإن التقوى مع الإحسان لها دلالات واضحة في صقل شخصية المسلم بالتقوى ، وتربية سلوكياته على التعامل بهذه المعاني الخلقية الرفيعة التي تعامل بها النبي صلى الله عليه وسلم مع الجميع بالإحسان والتقوى ، لذلك لا بد للمسلم أن يتحلى بهذه الصفات الطيبة حتى يُدرك هذا المقام مع المحسنين في الجنة .

قال عمرو خالد : "إن الإحسان عبارة عن علم ، وإدارة ، وتوجيه ، وتنظيم" (خالد ٢٠٠٣م

ص: ٩١) .

خلاصة :

يتضح لنا مما سبق أن هناك دلالات وفوائد تربوية للإحسان في القرآن الكريم والتي

لها أثر في بناء السلوك تتلخص فيما يلي :

- ١- ربط المسلم بالآخرين والشعور بالأخلاق الحميدة في التعامل معهم .
- ٢- إثارة العمل الخيري خدمة لأمة الإسلام .
- ٣- تربية المتعلم على مساعدة إخوانه لدليل الإحسان من المعاملات ،
- ٤- العبادة الخالصة لله دليل على الإحسان .
- ٥- شعور المراقبة في العمل تربية لسلوك أن تعبد الله كأنك تراه .
- ٦- إشعار دور المعلم في تربية الأبناء على مراقبة الله والإحسان للآخرين .

ثانياً : التحلي بالصبر دلالة تربوية للتقوى

الصبر درجة من الإيمان ذات مكان عال في الآخرة ، ويُعتبر الصبر منزلة طيبة في

هذا الدين ، به يستطيع المسلم أن يتحمل الأذى في سبيل الله لعظم الأجر الذي يترتب على

الصبر قال تعالى : { ... إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (الزمر، آية: ١٠) .

لذا فالصبر قوة إيمانية عميقة في النفس جعلت الصحابة يتحملون كل أذى في

سبيل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ونشر هذا الدين من أجل وصاياه صلى الله عليه وسلم

حيث قال : "... ومن يتصبر يُصبره الله ، وما أُعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من

الصبر" (مسلم، ٢٠٠٢م : ح ١٠٥٣، ص ٥٠٢) .

فكان القرآن يُكثِرُ التحدّثَ عن معاني الصبر ومكانة الصابرين ليحثّهم على تحمّل تبعات طريق الدعوة إلى الله ، قال الله تعالى : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}** (البقرة، آية : ١٥٣) .

وبما أن الصبر له هذه المكانة العالية في القرآن والسنة وصف الله تبارك وتعالى المتقين بالصبر وميّزهم بهذه الصفة الرفيعة بقوله : **{.وَالصَّابِرِينَ فِي الْبُؤْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}** (البقرة، آية: ١٧٧) . وقوله تعالى : **{الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْفَائِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}** (آل عمران، آية: ١٧) .

وفي معني الصبر يتحدث الكثير عن مفرداته ومعانيه قال الراغب : "الصبر الإمساك في ضيق والصبر : حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه ، فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه والصبور : القادر على الصبر ، والصابر : يقال إذا كان فيه ضرب من التكلّف والمجاهدة " (الأصفهاني ، ١٩٩٢م : ص ٤٧٤ مادة "صبر") .

فالصبر له أهمية بالغة في حياة الإنسان المسلم ، فالصبر يُظهر معادن الناس حيث يتبين المؤمن الحقيقي من المنافق ويكون عندما يبئس في السراء والضراء فيصبر على ذلك ، والصبر يقوي الإيمان لدي المسلم ، ولولا الصبر لما استطاع الإنسان أن يعيش أمام نائبات الدهر وعواديته . حيث أشار طبارة لذلك فقال : "فالصابر يتلقى المكاره بالقبول ويراهها من عند الله ، وعند التأمل نرى العناية الإلهية تسوق إلينا الشدائد لحكمة عالية ، والجاهل هو الذي يضجر ويحزن ويكتئب، أما العاقل فيتلمس وجوه الخير فيما يبئس به من الشدائد . ولولا الصبر لانهارت نفس الإنسان من البلايا التي تنزل عليه ، لأصبح عاجزاً عن السير في ركب الحياة ، وأصبح في حالة يكفر فيها بالقيم الأخلاقية فضلاً عن أنه يُصبح عنصر شر لا نفع فيه" (طبارة ، ١٩٨٨م : ص ٢١٣) .

وهناك إشارة تظهر قيمة الصبر وهي : "وقف رجل على الشبلي فقال : أي الصبر أشد على الصابرين ؟ قال : الصبر في الله ، فقال السائل : لا ، فقال : الصبر لله . قال : لا ، قال : فالصبر مع الله ، قال : لا ، قال : فما هو ؟ ، قال : الصبر عن الله ، فصرخ الشبلي صرخة كادت تطير روحه" (أبي بكر ، ٢٠٠٢م : ص ٣٦٦) .

وقد تحدّث القرآن الكريم عن فضائل الصبر وأهميته في حياة المسلم وزيادة تقواه وتقوية عزيمته ليواجه به أحوال الدنيا ، ليكون ثمرة الأجر وحسن الدار في الآخرة ، وهذا دليل مقرون بالتقوى والإيمان . وقد حتّ الله تعالى نبيه صلي الله عليه وسلم على التصبر حيث قال : **{وَأصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ}** (النحل ، آية : ١٢٧) .

ويعتبر الصبر ضرورة لازمة للإنسان وهو من أولويات الأخلاق الفاضلة لدى المسلم ليرقى إلى درجة الإيمان والتقوى ، وقد اعتنى بها القرآن الكريم عناية بالغة .

قال الدكتور يوسف القرضاوي : "وترجع عناية القرآن البالغة بالصبر إلى ما له قيمة كبيرة دينية وحُلقية ، فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة ، بل هو ضرورة لازمة للإنسان ليرقى مادياً ومعنوياً ، ويسعد فردياً واجتماعياً ، فلا ينتصر دين ، ولا تنهض دنيا إلا بالصبر . فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية" (القرضاوي ، ١٩٧٧م :ص١٢) .

ومفهوم الابتلاء لدى المؤمن يكون على درجة إيمانه وثباته حيث يُوجر على ذلك . قال صلى الله عليه وسلم : "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً وعنده صبر قوي زيد له في البلاء ليزداد أجراً" (الترمذي ، ب.ت : ح٢٣٩٨ ، ص٥٤٠) .

يقول تعالى : {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُّوا أَخْبَارَكُمْ} (محمد ، آية : ٣١) . ويقول تعالى : {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} (البقرة ، آية : ١٥٥) .

يقول قطب في ذلك : "والابتلاء بالسراء والضراء ، وبالنعماء والبأساء ، وبالسعة والضيق ، والفرج والكرب .. كلها تكشف عما هو مخبوء من معادن النفوس ، وما هو مجهول من أمرها حتى لأصحابها.." (قطب ، ١٩٨١م : ٦/٣٢٩٩) .

وتجد أن الله تعالى يُحب عبده الصابر فيبتليه ليظهره ويكون مقرباً عنده وإذا أحب الله عبده ابتلاه حتى يصبر فيثيبه على صبره ، وإن من يصبر على ما ابتلاه الله به منه في ذلك الجنة ، فقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم ، من رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط" (الترمذي ، ب.ت : ح٢٣٩٦ ، ص٦٦٦) .

فالمثقفون الصابرون هم الذين تحملوا الأذى في كل الأحوال وللإشارة على دلالات المتقين في مجال الصبر نجد أن له تجليات تظهر في فضائل كثيرة منها الشجاعة والإقدام والحلم وسعة الصدر والعفة والعفو والبذل والعطاء والكرم ، وللصبر أنواع كالصبر على المأمور والصبر عن المحظور والصبر على المقدور" (الجوزية ، ١٩٩٤م :ص٤٧) . وهناك أطوار ومراحل ودلالات تربوية تُشير إلي صبر المتقين وهي :

١- الصبر في البأساء

البأساء معناه الفقر : قال ابن كثير : {والصابرين في البأساء....} " أي في حال الفقر وهو البأساء" (ابن كثير ، ١٩٩٠م : ١/١٩٨) .

وقال الألويسي : "البأساء : اليأس والفقر" (الألويسي ، ب.ت: ٤٨/٢) .

وأكثر حديث المفسرين حول مفهوم الفقر الذي يعتبر ابتلاء عظيم للنفس لقلّة المعيشة والصبر عليها لها دلالات تربوية تقوي بها إيمان المسلم .

ونجد أن ابتلاء السراء أشد من ابتلاء الضراء ، قال عبد الرحمن بن عوف : "ابتلينا بالضراء فصبرنا ، وابتلينا بالسراء فلم نصبر" (ابن قيم الجوزية ، ١٩٩٤م : ص ٨٨) .

"لذلك قضية الفقر ابتلاء من الله تعالى لعباده ، فمن صبر كان من المتقين الذين وصفهم وامتدحهم الله تبارك وتعالى بالصبر على الفقر ، لذلك كان الفقراء الصابرون أكرم عند الله تعالى ، وكان أكثر أهل الجنة من الفقراء" (الأطرش ، ٢٠٠٢م ، ص ١٣٧) ، قال صلى الله عليه وسلم : "يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام" (الترمذي ، ب.ت: ح ٢٣٥٤ ، ص ٥٣١) .

وقال السعدي : "وَالصَّابِرِينَ فِي الْبِأْسَاءِ { أي : الفقر لأن الفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة لكونه يحصل له من الآلام القلبية والبدنية المستمرة ما لا يحصل لغيره . فإن تنعم الأغنياء بما لا يقدر عليه تألم . وإن جاع أو جاعت عياله تألم . وإن أكل طعاما غير موافق لهواه تألم . وإن عرى أو كاد تألم وإن نظر إلى ما بين يديه وما يتوهمه من المستقبل الذي يستعد له تألم وإن أصابه البرد الذي لا يقدر على دفعه تألم . فكل هذه ونحوها مصائب يؤمر بالصبر عليها والاحتساب ورجاء الثواب من الله عليها" (السعدي ، ١٩٨٨م : ١/١٣٨) .

من خلال هذه المعاني فإن دلالات التقوى تتعلق بالصبر والإيمان بحيث يكون المؤمن صبوراً في حال الفقر والمرض وغيره لينال الأجر من الله تعالى .

ليس معني هذا أن الدين يدعو إلى الفقر ، ولكنه يحث على الصبر على الفقر ، فليس الفقر ، فضيلة ولكن الصبر على الفقر واحتسابه عند الله هو الفضيلة ولذلك يقول الله تعالى : { وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } (الأنبياء ، آية : ٣٥) ، ومعني ذلك أن الغني ابتلاء يجب الاحتساب والصبر ليكون من المتقين .

"وإنما تأتي المصائب والبلايا والمحن والعقوبات بسبب الإهمال أو الإخلال بالتقوى وإضاعته ، أو إضاعة جزء منها فالتقوى هي سبب السعادة والنجاة وتفريج الكرب والعز والنصر في الدنيا والآخرة" (بن باز ، ١٩٧٦م : ص ٥) .

فالصبر في هذا المجال له مميزات ذات دلالة قيمة للنفس وتحمل الجوع والفقر مما لا يتحقق ذلك إلا في نفوس المتقين .

٢- الصبر في الضراء

الضراء من الضر وهو عكس النفع ، "وقد ورد عن المفسرين تفسير الضراء بالمرض والأسقام" (ابن كثير ، ١٩٩٠م : ١/١٩٨) .

قال أبو حيان : "واختلف المفسرون في البأساء والضراء ، فأكثرهم على أن البأساء هو الفقر وأن الضراء : الزمانة في الجسد ، وإن اختلفت عباراتهم" (أبو حيان ، ٢٠٠١م : ١٠/٢) . لذلك فإن الإنسان إذا أصيب بضر سواء كان في بدنه أو في نفسه إنما ذلك هو ابتلاء من الله تبارك ليعلم الصابر من غيره .

فقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم في معاني الابتلاء أنه يُغفر للعبد ذنوبه بسبب البلاء والابتلاء الذي يُصيبه ويكفر الله تعالى سيئاته ، حيث أنه يأتي يوم القيامة وليس عليه خطيئة ، حيث قال صلى الله عليه وسلم : "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة" (الترمذي، ب.ت : ح ٢٣٩٩، ص ٥٤١) .

والمؤمن أكثر ابتلاءً ، لأن الله إذا أحب عبده ابتلاه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : "ما يُصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح ٥٥٧٣، ص ١٣٤٨) . من هذه الأحاديث فهناك إشارات تربوية بأن المتقين لهم أجر عظيم بدليل الآيات التي ذكرها الله تعالى في صفاتهم بأنهم يصبرون على البأساء والضراء ولهم مغفرة وجنة.

٣- الصبر عند الابتلاء

وقد ظهر ذلك في قصة أيوب عليه السلام عندما تحدث القرآن في ابتلاء أيوب عليه السلام عندما قال الله تعالى : {...إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} (ص ، آية: ٤٤) . قال القرضاوي : "وكان صبر أيوب على ما أصابه من ضر في بدنه ، وعلى فقد أهله ، ولعل اسم أيوب هو أشهر الأسماء التي تقترن بالصبر كلما ذكرت ، حتى ضرب الناس به المثل فقالوا : صبر أيوب . وصبر أيوب كان على ما أصابه من ضر في بدنه ، وعلى فقد أهله ، وإن لم يصل حد المرض الذي أصابه إلى ما حكته الإسرائيليات والروايات المكذوبة... يقول تعالى في كشف الضر عن أيوب بعد صبره الطويل" (القرضاوي ، ١٩٧٧م : ص ٦٥) .

قال الطبري في تفسير ذلك : "حدثنا بشر قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد عن قتادة {وإذ ذكر عبدنا أيوب} حتى بلغ {بنصب وعذاب} : ذهاب المال والأهل والضر الذي أصابه في جسده قال : ابتلي سبع سنين وأشهرًا ملقى على كنانة لبني إسرائيل تختلف الدواب في جسده ففرج الله عنه وعظم له الأجر وأحسن عليه الثناء . حدثنا محمد بن الحسين قال : ثنا أحمد بن المفضل قال : ثنا أسباط عن السدي قوله {مسنى الشيطان بنصب وعذاب} قال : نصب في جسدي وعذاب في مالي" (الطبري ، ١٩٨٨م ، ١٢/١٦٩) .

وقال طبارة : "فإن أيوب لما امتحن بما فقد من أرزاقه وأهله وما عانى فيه من آلام في جسده صبر وشكر ، فكان أن رحمه الله فأعاد له صحته وأعطاه أضعاف ما فقد من رزق

وولد ، لذا قال عقب قصة أيوب : {وذكرى للعابدين} أي تذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر ، حتى يُثابوا كما أُثيب في الدنيا والآخرة ، فإنهم إذا ذكروا بلاء أيوب وصبره ، وهو أفضل أهل زمانه وطَنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا" (طبارة ، ١٩٨٧م : ص ٢١٢) .

من هذا المثال لصبر أيوب فإن الله تعالى وضع أسس التقوى في الصابرين على البأساء والضراء وحين البأس ليدلل على عظمة الصبر في هذه المجالات ولا يكون ذلك إلا للذين كان إيمانهم متين ورضوا بقدر الله تعالى .

٤- الصبر حين البأس

ومعناه في مواطن القتال عند لقاء الأعداء ، وهذا المواطن يحتاج إلى صبر أقوى حيث فيها لقاء العدو إما نصر أو شهادة ولها مميزات كبيرة تجعل المسلم يتخير إحدى الحسنيين ، فالفرار من المواقف التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر الله تعالى مواطن الصبر عند لقاء العدو ، قال الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَارِعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (الأنفال ، آية : ٤٥-٤٦) .

يقول القرظاوي : "وأعظم ما تشتد به الحاجة إلى الصبر عندما ينفرط العقد وتميل الريح ويضطرب الأمر وتشيع روح الهزيمة في المقاتلين وتنتشر الشائعات المثبطة للهمم المحطمة للعزائم . كما حدث في غزوة أحد بعد أن أخلى الرماة أماكنهم ، فانكشف جيش المسلمين وانقض عليهم فرسان المشركين من الخلف ، فاضطرب الميزان وانتشر الذعر وشاعت الشائعات بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتِل ، فأوهن من ذلك صفوف المسلمين وفتَّ في أعضادهم وزلزل روحهم المعنوية ، ففر الأكثرون وبقي الأقلون ، وهنا القرآن يُشيد بالذين ثبتوا وصبروا ، ويُنكر على الذين تولَّوا وأدبروا : {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} (آل عمران، آية : ١٤٣)" (القرظاوي ، ب.ت : ص ٥٤) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث على الثبات عند لقاء العدو حيث ورد عنه صلى الله عليه وسلم : "يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلل السيوف" (مسلم، ٢٠٠٢م : ح ١٧٤٢، ص ٩٢٦) .

وقد حدث الكثير لمواطن الصبر حين البأس في القتال ضد الأعداء وخصوصاً عندما انهزم المسلمون في معركة أحد فقام جماعة من أصحابه يدافعون عنه ويصبرون على الأذى وكان أمراً فيه بأس شديد نظراً لهجمة الأعداء عليهم ، قيل في فقه السيرة : "وترس أبو دجانة نفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبيل يتلاحق في ظهره وهو منحني على رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا يتحول . وترس زياد بن السكن نفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل هو وخمسة من أصحابه ، وكان آخرهم على ما رواه ابن هشام عمارة بن يزيد السكن ، فقاتل دونه عليه الصلاة والسلام حتى أثبتت الجراح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أذنوه مني" فوسده قدمه ، فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم " (البوطي، ١٩٨٧م : ص ١٨٧) .

ومن أبرز المعاني في هذا المجال هو صبر وتقوى على شر العدو ، بحيث نجدهم في صبر متواصل ، فكان أثر التقوى مع الصبر حفظهم من كيد الأعداء . قال الله تعالى : {تَتَّبِعُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَتَسْمَعْنَ مِنَ الَّذِينَ آوَتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (آل عمران ، آية : ١٨٦) . هذا دليل على تقوى الله في مجال الجهاد والمقاتلة للعدو .

قال البيضاوي : " { وإن تصبروا } على ذلك { وتتقوا } مخالفة أمر الله { فإن ذلك } يعني الصبر والتقوى { من عزم الأمور } من معزومات الأمور التي يجب العزم عليها أو مما عزم الله عليه أي أمر به وبالغ فيه والعزم في الأصل ثبات الرأي على الشيء نحو إِمضائه" (البيضاوي، ١٩٨٨م : ١/١٩٤) .

وقال قطب : " إنها سنة العقائد و الدعوات . لا بد من بلاء ، ولا بد من أذى في الأموال والأنفس ، ولا بد من صبر ومقاومة واعتزام ، إنه الطريق إلى الجنة . وقد حفت الجنة بالمكاره . بينما حفت النار بالشهوات ، ثم إنه هو الطريق الذي لا طريق غيره ، لإنشاء الجماعة التي تحمل هذه الدعوة ، وتنهض بتكاليفها . طريق التربية لهذه الجماعة ؛ وإخراج مكوناتها من الخير والقوة والاحتمال . وهو طريق المزاولة العملية للتكاليف والمعرفة الواقعية لحقيقة الناس وحقيقة الحياة . ذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عوداً . فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها إذن والصبر عليها . فهم عليها مؤتمنون . وذلك لكي تعز هذه الدعوة عليهم وتغلو ، بقدر ما يصيبهم في سبيلها من عنت وبلاء ، وبقدر ما يضحون في سبيلها من عزيز وغال . فلا يفرطوا فيها بعد ذلك ، مهما تكن الأحوال" (قطب ، ١٩٨١م : ١/٥٣٩) .

لذلك فإن الدلالة التربوية لميزة الصبر حين البأس تجعله ثابت على الحق لا يولّى الأدبار ، ويكون الصبر مدحاً له إلا إذا كان البلاء محيطاً به كإحاطة الظرف بالمظروف .

٥- الصبر والعاقبة الطيبة للمتقين

في هذه المعاني والدلالات فإن الصبر كثيراً ما نجده في القرآن الكريم يُقرن الصبر بالتقوى ، إذ أن الصبر طريق لا بد منه للوصول إلى التقوى ، كما يقول الله تعالى : {... فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} (هود ، آية : ٤٩) .

قال ابن عاشور : "جملة "إن العاقبة للمتقين" علة للصبر المأمور به ، أي : اصبر لأن داعي الصبر قائم هو أن العاقبة الحسنة تكون للمتقين"(ابن عاشور ، ب.ت : ٩٣/٦) .
فمعاني الصبر في هذه الأمور السابقة لها دلالة تربوية في تربية النفس على الصبر وإلا فلا يمكن الوصول إلى ذلك إلا بالتقوى مقروناً بالصبر .

٦- العزم على الصبر

حيث جعل الله الذي يصبر ويتقي فهو من عزيمة الإنسان وتحمله على ذلك قال الله تعالى : {لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}(آل عمران، آية : ١٨٦) .
قال أبو السعود : "لمن عزم الأمور" من معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون أي مما يجب أن يعزم عليه كل أحد ، لما فيه من كمال المزية والشرف ، أو مما عزم الله تعالى عليه وأمر به .. " (أبو السعود ، ١٩٩٤م : ١/١٢٤) .

وقال قطب : "إنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد وهو الملاذ الحصين الأمين ، وإلا ولي واحد وهو الولي القوي المتين ، وعليهم أن يصبروا حتى يأذن الولي بالنصرة في الوقت الذي يقدره بحكمته وعلمه وألا يعجلوا ، فهم لا يطلعون الغيب ، ولا يعلمون الخير ، وإن الأرض لله وما -الأشرار والفجار والمجرمين والظالمين- إلا نزلاء فيها والله يورثها من يشاء من عباده -وفق سنته وحكمته- فلا ينظر الداعون إلى رب العالمين ، إلى شيء من ظواهر الأمور التي تخيل للناظرين أن الطاغوت مكين في الأرض غير مزحزح عنها فصاحب الأرض ومالكها هو الذي يقرر متى يطردهم منها ، وإن العاقبة للمتقين طال الزمن أم قصر فلا يخالغ قلوب الداعين إلى رب العالمين قلق على المصير"(قطب ، ١٩٨١م : ٣/١٣٥٥) .
وقال حوى : "وإن تصبروا عن تكاليف الدين ومشاقه ، وما ابتلاكم الله به ، وتتقوا الله في اجتناب محارمه ، لا يضركم مكرهم وخططهم ضدكم شيئاً ، بل تكونون في حفظ الله"(حوى ، ١٩٨٥م : ٢/٨٦٧) .

من خلال ما ورد في التفاسير والأحاديث عن معاني الصبر فإن المسلم لا بد أن يتحلى بهما بصفة الصبر والتقوى والاستعانة بالله تعالى على ذلك كما قال تعالى : {لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}(البقرة ، آية : ١٥٣) .
ولا يمكن تحقيق بغية الجنة إلا بالصبر والتقوى ، ولا يكون هذا إلا عن طريق دلالات إيمان العبد المؤمن عند تحمله الأذى في سبيل الله والصبر عليها .

٧- النجاة من كيد الأعداء

وهناك دلالات الصبر والتقوى في قضية حفظ الإنسان وتمكينه في الأرض نتيجة الصبر والتقوى كما في قوله تعالى : {إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} (آل عمران، آية: ١٢٠) .

قال ابن كثير : "يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم فلا حول ولا قوة لهم إلا به وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشئته ومن توكل عليه كفاه" (ابن كثير ، ١٩٩٠م : ٣٧٧/١) .

فالتقوى من خلال هذا الصبر يُعطي المؤمن ستاراً من كيد الأعداء ، وهذا دليل أن التقوى بالصبر تعمل عملها في نفس المسلم ، بحيث لا يهّمه كيد الفجار والحاقدين ، فهو في معية الله عز وجل بهذا الصبر .

٨- الأجر العظيم عند الله

حيث يظهر ذلك في صبر المتقين والذي يتحقق الدليل بقول تعالى : {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (يوسف ، آية : ٩٠) .

يقول الطبري : " إنه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه {ويصبر} يقول : ويكف نفسه فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل عند مصيبة نزلت به من الله {فإن الله لا يضيع أجر المحسنين} يقول : فإن الله لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته إياه فيما أمره ونهاه" (الطبري ، ١٩٨٨م : ٥٥/٨) .

ويقول الشوكاني : " وقيل إنه جعل من موصولة لا شرطية وهو بعيد والمعنى : إنه من يفعل التقوى أو يفعل ما يقبه عن الذنوب ويصبر على المصائب { فإن الله لا يضيع أجر المحسنين} على العموم فيدخل فيه ما يفيد السياق دخولا أوليا وجاء بالظاهر وكان المقام مقام المضمّر : أي أجرهم للدلالة على أن الموصوفين بالتقوى موصوفون بصفة الإحسان" (الشوكاني ، ١٩٩٢م : ٦٠/٣) .

هذه الدلالات التي وجدناه من صبر المؤمنين على الفراق والابتعاد عن الأحبة مكنهم في الغالب أن يلتقوا بسبب الصبر على كل شيء في سبيل الحق فكانت ثمرة هذا أن إحسانهم لا يضيع عند الله عز وجل ، وهو دليل إيماني للنفس وتربيتها على هذه الخصال الإيمانية المتعلقة بالتقوى .

ومن الممكن رفع درجة وطاقة الصبر عند الإنسان بصورة مستمرة لتعظيم كفاءته العلمية والعملية والإيمانية ، بحيث تتعلق نفسه بالله عز وجل وأن النجاة والفلاح من عند الله ، فيجب الاستعانة به وهو للمتقي أكثر .

خلاصة :

من دلالات الصبر وثماره أنه يجب التحمل لينال الخير والمغفرة من الله وتكفير السيئات ، فنجد أن المتقي يجب أن يتحلى بدليل الصبر حتى يصل إلى بغيته الحقيقية وهو رضي الله عنه ، ومن هذه دلالات :

- ١- تمحيص الصف المسلم لتنقية عناصر البناء في مجال الدعوة الإسلامية .
- ٢- تحمّل أعباء الطريق في الحياة حتى ينال رضا الله عز وجل .
- ٣- كلما عَظُم شأن الدعوة إلى الله والتمكين اشتدَّ الامتحان وعَظُم البلاء حتى يتم التمكين .
- ٤- غرس مفهوم التريث لا الاستعجال في نفس المسلم حتى يتم له التمكين والأجر .
- ٥- تربية المربي لتلاميذه على الجرأة في القول والسؤال وعلى المربي احتمال ذلك والتحلّي بهذه الأخلاق .

- ٦- الالتزام بمواقف النبي صلى الله عليه وسلم في التحمّل من أجل الحق ورفع راية الحق .
- ٨- تحقيق الجزاء الأخروي بالفوز بالجنة بغير حساب للالتزامهم التقوى والصبر .
- ٩- أنه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور : أي مما يعزم من الأمور التي إنما يعزم على أجلها وأشرفها .
- ١٠- أنه تعالى جعل الصبر والتقوى جنة عظيمة من كيد العدو ومكره فما استجن العبد بأعظم منهما .

١١- أنه جمع لهم ثلاثة أمور لم تجمع لغيرهم : {أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون} .

١٢- علق الله الفلاح به في قوله : {ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون} .

١٣- الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره ، قال تعالى : {أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا} وقال أيضاً : {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب} .

ثالثاً : العمل على كظم الغيظ والعفو دلالة تربوية للتقوى

الغضب شعلة من النار ، والإنسان ينزع فيه عند الغضب عرق إلى الشيطان الرجيم ، حيث قال : {... قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} (الأعراف ، آية : ١٢) فإن شأن الطين السكون والوقار ، وشأن النار التلظى والاشتعال ، والحركة والاضطراب .

يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم للرجل الذي قال له : أوصني، قال : "لا تغضب" ،
فردد عليه مراراً ، قال : "لا تغضب" (الترمذي ، ب.ت : ح ٢٠٢٠، ص ٤٥٧) .

والغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام ، فمتى غضب الإنسان ثارت نار الغضب ثوراناً
يغلي به دم القلب ، وينتشر في العروق ، ويرتفع إلى أعالي البدن ، كما يرتفع الماء الذي
يغلي في القدر ، ولذلك يحمر الوجه والعين والبشرة وكل ذلك يحكي لون ما وراءه من حمرة
الدم، كما تحكي الزجاجة لون ما فيها .

قال المقدسي : "واعلم أنه متى قويت نار الغضب والتهبت أعمت صاحبها وأصمته عن
كل موعظة ؛ لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ ، فيُغطي على معادن الفكر ، وربما تعدى إلى
معادن الحس ، فتُظلم عينيه حتى لا يرى بعينه ، وتسود الدنيا في وجهه ، ويكون دماغه على
مثال كهف أضمرت فيه نار ، فاسود وجهه ، وحمي مستقره ، وامتلاً بالدخان ، وكان فيه سراج
ضعيف فانطفأ ، فلا يثبت فيه قدم ، ولا تسمع فيه كلمة ، ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على
إطفاء النار ، فكذاك يفعل بالقلب والدماغ ، وربما زاد الغضب فقتل صاحبه" (المقدسي ، ١٩٧٦م :
ص ١٧٩) .

لذلك فإن الغضب يُؤثر على صاحبه تأثيراً سلبياً وينعكس على سلوكه ويجعله إنساناً
غير متوازن ، يفعل أشياء غير لائقة نظراً لغياب عنصر الأناء والتقوى في قلبه وعدم تحمّله
تبعات ذلك . وهناك دلالات تربوية مهمة للمسلم في هذا المجال :

١ - كظم الغيظ

وكظم الغيظ وتحمل الأذى من صفات المتقين التي وصفهم الله بها في الآية بقوله
تعالى: {وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (آل عمران ، آية : ١٣٤) .

وصفة كظم الغيظ صفة تابعة لوصفهم بالصبر ، فهي داخلة في الصبر ؛ لأن كظم
الغيظ يعني حبس النفس عند الغضب ، وهذا يعني : الصبر عند الغضب ..

قال الراغب : "الغيظ : أشدُّ غضب ، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم
قلبه" (الأصفهاني ، ١٩٩٢م : س ٦١٩) .

والكظم معناه : الحبس ، قال أبو السعود : "والكظم : الحبس ، يُقال : كظم غيظه أي
حبسه ، قال المبرد : تأويله : أنه كتمه على امتلائه منه ، يُقال : كظمت السقاء إذا ملأته وشدت
عليه" (أبو السعود ، ١٩٩٤م : ٨٥/١) .

قال الألويسي في تفسير {والكاظمين الغيظ} : "والمترعين للغيظ الممسكين عليه عند
امتلاء نفوسهم منه ، فلا ينقمون ممن يُدخل الضرر عليهم ، ولا يُبدون له ما يكره ، بل
يصبرون على ذلك مع قدرتهم على الإنفاذ والانتقام ، وهذا هو الممدوح" (الألويسي ، ب.ت : ٩٢/٣) .

لذلك يظهر فضل كظم الغيظ له فائدة عظيمة في سلوكيات المسلم ، بحيث تجعله رجلاً مستقيماً ذات دلالة إيمانية ثبت له ثناء الله عليه بصفات التقوى ومقامات المتقين .

فهذا يعني أن المتقي لله والخائف منه يكون عند الغضب كاظم الغيظ متجرّع له ليحصل على جائزة طيبة عند الله ، ولا يكون ذلك إلا للمتقين كما قال عليه الصلاة والسلام : "من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه ، دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخَيَّرَهُ من الحور ما شاء" (أبو داود، ب، ت، ح: ٤٧٧٧، ص ٧١٨) .

من خلال ما ورد من محامد الكاظمين للغيظ تظهر صفة حبس النفس عند الغضب وعدم الانتقام صفة من صفات المتقين التي امتدح الله بها المتقين ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُرشد أصحابه إلى التحمّل وعدم الغضب ، وبيّن أنّ الشديدي ليس القوي الجبار الذي يصرع الناس ولكن الذي يملك نفسه عن الغضب كما ورد عنه حيث قال : "ليس الشديدي بالصرعة ، إنما الشديدي الذي يملك نفسه عند الغضب" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح: ٢٦٠٩، ص ١٣٦٢) .

وقد عالج الإسلام الغضب عن طريق ضبط النفس أولاً ، حيث قال صلى الله عليه وسلم : "إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تُطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ" (أبو داود ، ب، ت، ح: ٤٧٨٤، ص ٧١٩) ، وهذه أول خطوة في علاج الغضب . وكذلك دل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الخطوة الثانية لعلاج الغضب للمؤمن التقي حيث قال : "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضع" (أبو داود، ب، ت، ح: ٤٧٨٢، ص ٧١٩) .

والخطوة الثالثة هي الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم كما روي عن البخاري ومسلم عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال : كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبئان ، وأحدهم قد احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد" (مسلم، ٢٠٠٢م : ح: ٢٦١٠، ص ١٣٦٣) .

وأما الأساس في علاج الغضب ، الإمساك عنه بقدر الاستطاعة وكظم الغيظ ابتغاء وجه الله تعالى حتى يُثاب عليه ، ويجعل في نفسه نية كظم الغيظ حتى ينال الأجر كما قال صلى الله عليه وسلم : "ما تجرّع عبد من جرعة أفضل أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله" (ابن ماجة ، ب، ت، ح: ٤١٨٩، ص ٦٩٦) .

٢- العفو عند المقدرة

من خلال هذا المفهوم للعفو يجب على المتقين بعد كظم الغيظ أن يعفو ويُسامحوا من أغضبهم حتى تكتمل لهم صفات المتقين والمغفرة حيث يقول تعالى : { وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ } (آل عمران ، آية : ١٣٤) .

لذلك فصفة العفو ضرورية لخلق المسلم التي تضبط سلوكه في المجتمع فيطابق بذلك تقوى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان يغضب فيعفو كما ورد عندما أغضبه أعرابي حتى عفا عنه ونجد ذلك في سيرته : " ذات يوم كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يسير مع خادمه "أنس بن مالك" ، وكان النبي- صلى الله عليه وسلم- يلبس برداً نجرانياً يعني رداء كان يلتحف به ، ونجران بلد بين الحجاز واليمن ، وكان طرف هذا البرد غليظاً جداً ، فأقبل ناحية النبي- صلى الله عليه وسلم- أعرابي من البدو فجذبه من رداءه جذباً شديداً ، فتأثر عاتق النبي- صلى الله عليه وسلم- ، (المكان الذي يقع ما بين المنكب والعنق) من شدة الجذبة ، ثم قال له في غلظة وسوء أدب : يا محمد أعطني من مال الله الذي عندك ، فتبسم له النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في حلم وعفو ورحمة ، ثم أمر له ببعض المال" (البخاري ، ب.ت : ح ٦٠٨٨ ، ص ١١٧٦) .

ومعنى العفو : هو ترك عقوبة المذنب أو المخطئ ، قال الراغب : "عفوت عنه : قصدت إزالة ذنبه" (الأصفهاني ، ١٩٩٢م : ص ٥٧٤) .

ويظهر في قوله تعالى {والعافين عن الناس} معاني كبيرة لصفات المتقين الذين وصفهم الله بها مما يُعطي دلالات تربوية سلوكية وخلقية للمتقين ، بحيث أنهم يتركون عقوبة من استحقها .

قال الألويسي : "والعافين عن الناس} أي المتجاوزين عن عقوبة من استحقوا مؤاخذته ، إذا لم يكن في ذلك إخلال بالدين" (الألويسي ، ب.ت : ٩٢/٣) .

فالعفو صفة ذات دلالة خلقية للمتقين خص بها هذه الفئة التي تستخدم العفو رغم قدرتها على إنفاذها ، وقد أمر الله تعالى بالعفو والصفح لمن اعتدى أو تجاوز حيث قال الله تعالى : **{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** (النور ، آية: ٢٢) .

وقال طبارة في معنى صفة العفو : "لا تصدر إلا من نفس كبيرة راجحة العقل صبرت على اعتداء الغير وأذاه ، وإن مقابلة الإساءة بالإحسان تنزع من المعتدي البغضاء ، وتتركه مندهشاً ، فيرتد غالباً عن غيه وتتقلب بغضاؤه إلى مودة" (طبارة ، ١٩٧٦م : ص ٢٦٦) .

من خلال أقوال العلماء في معنى العفو والصفح وهي صفة المتقين فإنه لا بد من التزام هذه الصفة الحميدة ذات الأخلاق الطيبة للمسلم وتخص المتقين لدلالاتها التربوية في تربية السلوك الإنساني للفرد المسلم .

لذلك فإن العفو شيمة الأنبياء الأتقياء والصالحين الذي يجب أن يدخل قلب المربي والمتعلم بالتأثر به حتى يدرك معاني الشعور بالآخرين ومحبتهم .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أول من اتصف بصفة العفو للخلق أجمعين .

" لقد كان هذا الحلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الإساءة إلى شخصه عليه الصلاة والسلام يُلازمه عفوً وصفحاً عن المسيء لتبدأ معه سيرة جديدة ، ونحن إن استقرأنا

حوادث العفو في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجدناها أكثر من أن تُحصى ، فقد عفا عن الرجل اليهودي الذي سحره ، وعفا عن المرأة التي دسّت له السم في ذراع الشاة ... عفا عن أهل مكة بعدما آذوه ، وأخرجوه من بلده وحاربوه في كل مكان وقال لهم : لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء" (الصوري ، ب.ت :ص ١٧) .

وكذلك ورد في سيرة الصحابة والتابعين صور العفو ، منهم الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز الذي قيل عنه عندما أخبرنا أحمد بن أبي إسحاق قال :حدثنا عمر ابن حفص قال : حدثنا شيخ قال :لما ولي عمر بن عبد العزيز بدابق خرج ذات ليلة ومعه حرس فدخل المسجد فمر في الظلمة برجل نائم فعثر به فرفع رأسه إليه فقال : أمجنون أنت ؟ قال : لا . فهم به الحرس ، فقال له عمر : مه إنما سألتني أمجنون أنت فقلت لا" (ابن سعد ، ١٩٩٧م : ٣١٠/٥) .

من هذه الأوصاف التي اتصف بها الصحابة من خلق العفو جعلهم أمة قوية وذات سيادة ودلل على قدرتهم في تفعيل دور التعامل بالأخلاق الحسنة مع الغير ومع المسلمين بعضهم ببعض ، لذلك يقول علوان : "ما هذا الخلق العظيم من العفو والصفح والتسامح والحلم .. إلا بفضل ما اقتبسوه تأسياً من أخلاق الداعية الأول صلوات الله وسلامه عليه ، وبفضل ما امتثلوه من توجهاته الكريمة عليه الصلاة والسلام .. حتى تسمو أخلاقهم على أخلاق السوقة والعبيد ، وتتميز مكارمهم من مكارم الخاصة والعامة.." (علوان ، ١٩٨٣م : ص ٣٦٨) .

وحتى يكون هذا الخلق ذات دلالة تربوية لا بد من تربية الجيل المسلم على هذا الخلق الرفيع ، حيث أن المربي يجب أن يتصف أولاً بها فيتأثر بذلك المتعلمين وخصوصاً حين التدريس والتفقيه من المتعلم للمتعلمين في المدارس أو أي مكان تعليمي حيث نجد أن صفات العفو وكظم الغيظ من الصفات الأخلاقية المميزة التي يجب على المسلم التحلي بها .

فعلى المربي أن يقوم بهذه المهمة الخلقية في التربية ليصنع جيلاً يحمل صفات التقوى منذ الصغر حتى يؤثر على سلوكه وأخلاقه في المستقبل وهذا ما قاله علوان : "فما على المربين إلا أن يتحلوا بالحلم والرفق والأناه إن أرادوا للأمة إصلاحها وللجيل هدايته ، وللأولاد تربيتهم وتقويم اعوجاجهم" (علوان ، ١٩٨٣م : ٧٤٤/٢) .

ولا بد من تربية الأولاد على ذلك الطريق ، طريق الحلم والرفق والعمل على تكوين شخصية أخلاقية لدى المتعلم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله" (البخاري ، ١٩٨٥م :ص ١٦٣) .

لا بد من تربية الأمة والجيل على حفظ الأخلاق بالعفو وكظم حتى يستقيم حالها ويُدرك الأولاد ذلك من خلال المحاكاة والتأسي بهما حتى ينشأ جيلٌ قرآني ذات تربية أخلاقية وسلوكية في جميع أحواله .

- خلاصة :** يتضح مما سبق أن هناك الكثير من الدلالات والآثار التي تربي المسلم على العفو وكظم الغيظ ، وتربي النفس على التحمل وتتلخص فيما يلي :
- ١- العفو يُساعد على انتشار المحبة بين الناس والمجتمع .
 - ٢- يدلل العفو والتسامح على جوانب كمال الإيمان وحُسن الإسلام .
 - ٣- العفو وكظم الغيظ دليل على شرف النفس وكمال خصالها .
 - ٤- العفو والتسامح طريق الهداية لغير المسلمين ، ودلالة تربوية للمسلم في سلوكه .
 - ٥- العفو دليل سعة الصدر وحُسن الظن .
 - ٦- التسامح منهج تربوي يجب أن يتلقاها الطفل أو المتعلم فينشأ رجلاً يُحب الإحسان إلى الآخرين .
 - ٧- والتيسير من الرفق لقول النبي صلى الله عليه وسلم : "يسرا و تُعسراً وبشراً ولا تُتفراً" دليل على تأليف من قرّب إسلامه وترك التشديد عليه ويجب أن يكون بالتدرج والرفق .

رابعاً : التزام الصدق دلالة تربوية للتقوى

يُعتبر الصدق من أهم الفضائل السلوكية للمسلم التي تترجم شخصيته العملية في فن التعامل مع الآخرين ، وبالصدق يتم وضع علاقات الثقة بين الأفراد والجماعات ، لذلك كانت فضيلة الصدق من أهم صفات الفرد المسلم .

"والمسلم لا ينظر إلى الصدق كخلق فاضل يجب التخلُّق به لا غير ، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك ، يذهب إلى أن الصدق من متمات إيمانه ، ومكملات إسلامه إذ أمر الله تعالى به، وأثنى على المتقين به ، كما أمر به رسوله وحثَّ عليه ودعا إليه" (الجزائري ، ١٩٧٦م :ص ١٤٥).

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً" (مسلم، ٢٠٠٢م: ح٢٦٠٧، ص٣٦١).

لذلك فإن سلوك الصدق صفة ضرورية للتعامل بين الأفراد في كل قضية أو معاملة أو سلوك بين الفرد والآخر أو الجماعة الأخرى . قال محمد الغزالي : "ومن هنا كان الاستمسك بالصدق في كل شأن ، وتحرّيه في كل قضية والمصير إليه في كل حكيمة ، دعامة ركنية في خلق المسلم ، وصبغة ثابتة في سلوكه وكذلك كان بناء المجتمع في الإسلام قائماً على ترك الظنون ، ونبذ الإشاعات وإطراح الريب ، فإن الحقائق الراسخة وحدها هي التي يجب أن تظهر وتغلب ، وأن تعتمد في إقرار العلاقات المختلفة" (الغزالي، ١٩٨٠م: ص ٣٥) .

ويجىء الصدق بمعنى الصحة والاستقامة ، ويُستعمل في كل ما يحق ويحصل ، قولاً أو فعلاً . وقد وردت هذه المفردة في أكثر من مئة وخمسين آية تدل على الصدق والتصديق والتصديق ، والصدقة والصدقات .

فالصدق خُلقٌ عالي المعاني يحتاج له المسلم في حياته ويجب الالتزام به، "والصدق يُستخدم في القول ، وهو مطابقة القول للحقيقة ، كما ينبغي مطابقته للشئ الذي هو أخفي في الضمير" (الأطرش، ٢٠٠٢م : ص١٦٤) ، قال الراغب : "والصدق مطابقة القول للضمير والمُخْبِر عنه" (الأصفهاني، ١٩٩٢م : ص٤٧٨ ، مادة صدق) .

وحتى تتحقق مميزات الصدق والتقوى وربط العلاقة بينهما فإن الآيات قد تحدثت عن اقتران الصدق بالتقوى ، والمتقين بصفاتهم المميزة من الصبر والصدق هم الذين لهم دلالات الإيمان وزيادة التقوى في قلوبهم بوصفهم لهم أولئك هم المتقون ، وتتحقق الدلالات التربوية من خلال التالي :

١- الصدق في النية

ويكون الصدق في جميع الأعمال والأفعال ، لكن بشرط النية الصادقة ، والتوجه السليم لله تعالى .

قال الغزالي : "حيث لا يكون ثمة باعث على العمل إلا الله والصدق بهذا المعنى يرجع إلى الإخلاص لله ومن ذلك قوله تعالى للمنافقين : {وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ} أي هم كاذبون في قولهم للرسول صلى الله عليه وسلم : {إنك لرسول الله} . وقولهم هذا صدق ولكن كذبه من حيث مخالفته لما يعتقدون فهم لم يخلصوا في هذا القول" (الغزالي ، ب.ت: ٤٣/٥) .

يقول عمرو خالد : "وأعني بصدق النية أن تبتغي في أي عمل وأي كلمة تخرج من فمك وجه الله .. تبتغي مرضاة الله .. لو فعلت هذا تكون صادق النية" (خالد ، ٢٠٠٢م : ص١٠٦) .

فالنية الصادقة لها دور في قبول العمل والذي يؤكد قول النبي صلى الله عليه وسلم : "من سال الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه" (مسلم، ٢٠٠٢ : ج١٩٠٩، ص١٠٢٢) .

٢- صدق الإيمان والتوجه والعزيمة

فالصدق من صفات المتقين ، فهم أصدق الناس إيماناً وأصدقهم أقوالاً وأفعالاً ، وهم الذين صدقوا المرسلين ، قال تعالى فيهم : {... أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (البقرة ، آية : ١٧٧) .

قال القاسمي في تفسير {... أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (البقرة ، آية: ١٧٧) : "أي في إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال فلم تغيرهم الأحوال ولم

تزلزلهم الأهوال ، وفيه إشعار بأنه من لم يفعل أفعالهم لم يصدق في دعوى الإيمان (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الإشارة لزيادة التنويه بشأنهم وتوسيط الضمير للإشارة إلى انحصار التقوى فيهم" (القاسمي ، ٢٠٠٢م : ٤١/٢) .

وقال ابن كثير : "وقوله { أولئك الذين صدقوا } أي هؤلاء الذين اتصفوا بهذا الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال فهؤلاء هم الذين صدقوا { وأولئك هم المتقون } لأنهم اتقوا المحارم وفعّلوا الطاعات" (ابن كثير ، ١٩٩٠م : ١٩٨/١) .
من هذه التفاسير نرى أن الصدق دليل على خلق المسلم في سلوكه وأفعاله وأقواله الذين وقد وصفهم الله بأنهم هم المتقون للدلالة على تحقيق الإيمان الصادق في قلوبهم وأفعالهم.

٣- صدق اللسان

وهو خاص بالإخبار والصدق فيها معناها الإخبار عن الأشياء على ما هي عليه . فقد قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } (الأحزاب، آية : ٧٠) .
قال ابن كثير : "يقول تعالى أمرنا عباده المؤمنين بتقواه وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه وأن يقولوا { قولاً سديداً } أي مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم أي يوفقهم للأعمال الصالحة وأن يغفر لهم الذنوب الماضية وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها" (ابن كثير ، ١٩٩٠م : ٥٠٠/٣) .
فصدق اللسان له دور ضبط سلوك المسلم ، بحيث لا يتكلم إلا بصدق إذا كان عده التقوى السديدة التي تمكنه من القول والعمل .

"ومن أنواع صدق اللسان : الصدق مع الأولاد حتى يتعلم الطفل من أبيه الصدق ، كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أحد الصحابة فنادت زوجة الصحابي ابنها ، فقالت له : تعال هاك ، فنظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم وقال : "ماذا تريدين أن تعطيه ؟ أمعك شيء تعطيه ؟ قالت : نعم ، معي تمر يا رسول الله . قال "أما أنك لو لم يكن معك ما تعطيه إياه لكتبت عليك كذبة" (أبو داود، ب.ت : ح ٤٩٩١، ص ٧٤٧) (خالد ، ٢٠٠٢م : ص ١١٥) .

٤- الصدق في الأعمال

"وهو أن يصدق في عمله حتى يكون باطنه مثل ظاهره أو خيراً منه" (الغزالي، ب.ت : ٤٣/٥) .
ويتحقق في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (التوبة ، آية : 119) .

قال العلماء : "معناه أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم" (المشوخي ، ب.ت : ص ٥٨) .

قال النووي : "الكذب : الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عمداً أو سهواً" (النووي ، ٢٠٠٣م : ص ٣٥٤) .

قال القاسمي : "أي : في إيمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة" (القاسمي ، ٢٠٠٣م : ٥/٥٣٧) .

وقال السعدي : "أي : الذين آمنوا بالله وبما أمر الله بالإيمان به وهو القيام بتقوى الله باجتناب ما نهى الله عنه" (السعدي ، ١٩٨٨ : ٢/٢٩٥) .

٥ - الصدق في الوفاء بالعزم

"قاله تعالى جعل العزم عهداً والوفاء به صدقاً كما جعل الخلفة فيه كذباً قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لِنُنَازِلِنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة ، آية : ٧٧) .

قال الغزالي : "أعلى درجات الصدق وأعزها وهو كما سماه الصدق في مقامات الدين : وهو أعلى الدرجات كالصدق في الخوف والرجاء والزهد والرضا والتوكل والحب ، فإن هذه الأمور لها مبادئ ينطلق الاسم بظهورها ، ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها كما يُقال فلان صادق القتال ، ويُقال هذا هو الخوف الصادق . قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات، آية : ١٥) ، ودرجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون بعض فإن كان صادقاً في الجميع فهو الصديق حقاً" (الغزالي ، ب.ت : ٥/٤٣) .

قال القاسمي : "أي حلف به بإعطاء كل ذي حق حقه" (القاسمي ، ٢٠٠٣م : ٥/٤٧٢) .

٦ - المكاة الطيبة للصديقين

وقد تحدث الله تعالى في القرآن عن مرتبة الصديقية والتي تكون بمقدمات ومميزات يحصل عليها المتقي من طاعة الله ورسوله والتزام السلوك والأخلاق الإسلامية التي ترتبط بطبيعته كمسلم حيث قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء ، آية : ٦٩) . وهذه مرتبة يتحصّل عليها كل من صدق في أقواله وأعماله وأحواله واستمر على ذلك وتحرّى الصدق فيها.

قال القرطبي : "والصديق فعيل : المبالغ في الصدق أو في التصديق والصديق هو الذي يحقق ما يقوله بلسانه وقيل : هم فضلاء أتباع الأنبياء الذين يسبقونهم إلى التصديق كأبي بكر

الصديق وقد تقدم في البقرة اشتقاق الصديق ومعنى الشهيد والمراد هنا بالشهداء عمر وعثمان وعلي والصالحين وسائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين" (القرطبي، ٢٠٠٦م، ٤٤٩/٦) .
من الوصف لهؤلاء الذين أطاعوا الله والرسول نجدهم هم الذين تحققت فيهم دلالة التقوى في نفوسهم فصدقوا بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم .

٧- التصديق بالقرآن

حيث أن الذي يُصدّق بهذا القرآن له قيمة دلالية لإيمانه بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد تحقق ذلك في قوله تعالى : **{وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}** (الزمر ، آية : ٣٣) .

لذا فقد أشار الطبري : **{والذي جاء بالصدق وصدق به } كل من دعا إلى توحيد الله وتصديق رسله والعمل بما ابتعث به رسوله من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به وأن يقال الصدق : هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله والمصدق به : المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائنا من كان من نبي الله وأتباعه**" (الطبري ، ١٩٨٨م ، ٢٤/١٢) .

ونرى من هذه الدلائل في تفسير الصدق للآية السابقة نجد أن الذين صدّقوا بالنبي وما أنزل معه هو الذي يستحق دليل التقوى والإيمان ، مع أن هذه الآيات جاءت على أساس تحقيق التقوى في الصدق إلا أنها حذرت من الكذب الذي هو آفة سيئة في سلوك المؤمن يجب ألا يقربها أو يُعلّمها لغيره .

وقد أشار علوان لهذه الدلالة فقال : **"فجدير بكلّ مربٍّ مسؤول ألاّ يكذب على أطفاله بحجة إسكاتهم من بكاء ، أو ترغيبهم في أمر ، أو تسكينهم من غضب . فإنهم إن فعلوا ذلك يكونوا قد عودّهم عن طريق الإيحاء والمحاكاة والقوة السيئة على أفبح العادات ، وأرذل الأخلاق ألا وهي رذيلة الكذب ... عدا أنهم يفقدون الثقة بأموالهم ويُضعف جانب التأثير بنصائحهم ومواعظهم"** (علوان ، ١٩٨٣م ، ص ١٨٤) .

فالمرابي الأول صلى الله عليه وسلم حذر أولياء الأمور والمربين من الكذب خصوصاً أمام الأطفال ولو بقصد الترغيب أو الممازحة حتى لا يكتبها عليهم كذب ، حيث روى أبو داود والترمذي عن عبد الله ابن عامر رضي الله عنه قال : **دعتني أمي يوماً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا فقالت : ها أعطيك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما أردت أن تُعطيني ؟" ، قالت : أردت أن أعطيه تمراً . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أما إنك لو لم تُعطيني شيئاً كُتبت عليك كذبة"** (أبو داود ، ب.ت : ج٩٨٣، ص٤٥٢) ،

وللتحذير من الكذب يجب مراعاة ذلك في كل الأحوال ، **"فقد أصبح الكذب عند الكثير من المسلمين اليوم أمراً طبيعياً ، تُساق له تبريرات عجيبة ويُطلق عليه أوصاف مختلفة ، فهناك**

كذبة نيسان ، والكذبة البيضاء ، والكذب تحت غطاء المراح والفكاهة ، وتارة يُسمّى الكذب فهلوة ، على الرغم من أن الكذب من أكبر الآفات الأخلاقية التي حذّر منها الإسلام (أبودف ، ٢٠٠٦م : ص ١٧٣) .

فالصدق له دلالات تربوية في تربية النفس والسلوك لدى المسلم تجعله دائم المراقبة والعمل على تنمية روح المبادرة وتحري الصدق في جميع أفعاله وأقواله والبعد عن مزلق الكذب بجميع أحواله .

خلاصة : يظهر مما سبق دلائل وآثار تربوية لمفهوم الصدق يتلخص فيما يلي :

- ١-تُساعد على راحة الضمير وطمأنينة النفس .
- ٢-تُعِين على البركة في الكسب وزيادة الخير .
- ٣-الفوز بمنزلة الشهداء في الجنة .
- ٤-النجاة من أي مكروه أو مكر بسبب الصدق .
- ٥-تربي النفس على حُسن التعامل بالصدق في تربية الجيل .
- ٦-تُعِين المربي في تربية المتعلّم على سلوك الصدق ليكون له طريقاً إلى الحق .

خامساً : التزام الوفاء بالعهد دلالة تربوية للتقوى

الوفاء بالعهد شرفٌ يحمله المسلم على عاتقه وهو قيمة إنسانية وأخلاقية عظمية ، بها تُدعم الثقة بين الأفراد ، وتؤكد أواصر التعاون في المجتمع ، وهو أصل الصدق وعنوان الاستقامة ، الوفاء بالعهد خصلة من خصال الأوفياء الصالحين ، وهو أدب رباني حميد ، وخلق نبوي كريم ، وسلوك إسلامي نبيل ، والوفاء بالعهد من شعب الإيمان وخصاله الحميدة ، ومن أهم واجبات الدين وخصال المتقين .

ومن صفات المتقين أنهم يُوفون بالعهد ويقومون عليه وتأديته حق التأديبة والالتزام بالمواثيق والمعاهدات التي يعقدونها مع الله ومع الآخرين ، ونقض العهد صفة مذمومة وسلوك سيء ، حيث أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا الأمر للذين يخلفون الوعد والعهد والمواثيق ، وقد نهاهم عن هذه الأفعال المشينة بقوله : "ما نقض قوم العهد إلاّ سلب عليهم عدوهم" (الطبراني ، ب.ت : ح ١٠٩٩٢، ص ٤٥) .

فلا بد من الوفاء بالعهد والالتزام كما أمر الله تعالى بذلك حيث قال : **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} (المائدة ، آية : ١) .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : **{أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}** ، "قال ابن عباس ومجاهد وغير

واحدٍ يعني بالعقود العهود ، وحكى ابن جرير الإجماع على ذلك قال : والعقود ما كانوا

يتعاقدون عليه من الحلف وغيره ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : **لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** يعني العهود ، يعني ما أحل الله وما حرم ، وما فرض وما حدّ في القرآن كله ، ولا تغدروا ولا تتكثروا" (ابن كثير، ١٩٩٠م : ٤/٢) .

ومعنى الوفاء بالعهد : إتمامه وافيةً بكامل حقوقه وشروطه ، وعدم نقضه ، قال الراغب : "الوافي : الذي بلغ التمام يُقال : درهم وافٍ ، وكيل وافي ، وأوفيت الكيل والوزن .. ووفى بعهده يفي وفاءً وأوفى : إذا تمّ العهد ولم ينقض حفظه ، واشتقاق ضده - وهو الغدر - يدل على ذلك .. وتوفية الشيء : بذله وافيةً ، واستيفأؤه : تناوله وافيةً" (الأصفهاني ، ١٩٩٢م : ص ٨٧٨ ، مادة "وفى") .

وقد حثّ الإسلام على الالتزام بالوفاء بالعهد ، وسبب ذلك أن تربية المسلم تأتي من خلال سلوكيات مختلفة يحتاجها في معاملاته المختلفة مع الله أو مع نفسه أو مع المجتمع ، والذي يجب عليه الوفاء بها ؛ لأنها تُعتبر سلوكاً يتصف به المؤمن المتقي ، ولا يجوز له مخالفة ذلك حتى لا يفقد الثقة مع المجتمع والأفراد ، فإذا لم يكن هناك وفاء لم تكن هناك ثقة . قال قطب : "والوفاء بالعهد هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس ، وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع ولا تقوم إنسانية .. وقد تشدد الإسلام في مسألة الوفاء بالعهد فلم يتسامح فيها أبداً ؛ لأنها قاعدة الثقة التي ينفرد بدونها عقد الجماعة ويتهدّم" (قطب ، ١٩٨١م : ٤/٢١٩١) .

وقد وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم يُحذّر من الإخلال بالعهد ويعتبرها صفة نفاق في سلوك من لا يُؤدي العهد ولا يفي به حيث روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح ٥٩٤، ص ٥٥) .

قال قطب أيضاً : "والوفاء بالعهد إنه سمة الإسلام التي يحرص عليها ويُكررها القرآن كثيراً ، ويُعدّها آية الإيمان وآية الأدمية وآية الإحسان ، وهي ضرورية لإيجاد جو من الثقة والطمأنينة .. وبغير هذه السمة يعيش كل فرد مفزَعاً قلقاً لا يركن على وعد ولا يطمئن إلى عهد ولا يثق بإنسان ، ولقد بلغ الإسلام من الوفاء بالعهد لأصدقائه وخصومه على السواء قمة لم تصعد إليها البشرية في تاريخها كله ، ولم تصل إليها إلا على حذاء الإسلام وهدى الإسلام" (قطب ، ١٩٨١م : ١/١٦١) .

وحتى يتحقق لنا مفهوم الوفاء بالعهد فإن الله تعالى تحدّث عنها في سور القرآن الكريم مادحاً من قام بهذا الدور السلوكي في أخلاق الوفاء بالعهد ، والذي يُعتبر صفة مهمة من صفات المنقيين ، وسلوك تربوي ذات دلالة واضحة على أن المنقي إذا امتثل هذا السلوك وجد الأجر عند الله .

والعهود التي يرتبط المسلم بها درجات وأنواع مختلفة تحتاج إلى التحدث عنها حتى يتبين المفهوم أكثر لدرجات التقوى ومدلولها لدى المؤمن في حياته ، وتحقق دلائل التقوى في الالتزام بالعهود والمواثيق للمسلم في التالي :

١- الالتزام بالعهد الذي بين العبد ورب العالمين

فهذه تُعتبر أعلى مكانة للوفاء بها لرب العالمين وأقدسها ذمّة ، لذلك فإن الله خلق الإنسان بقدرته ، وربّه بنعمته ، فطلب منه أن يعرف هذه النعمة وأن يعترف بها ، حيث قال الله تعالى : ﴿لَأْمَأَعَهْدُ إِلَيْكُمُ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنۢ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (يس، آية : ٦٠-٦١) .

قال الراغب : "وعهد الله تارة يكون بما ركزه في عقولنا وتارة يكون بما أمرنا به بالكتاب والسنة ورسله ، وتارة يما نلتزمه وليس بلزوم في أصل الشرع كالنذور ، وما يجري مجراها ، وعلى هذا قوله : {ومنهج من عاهد الله} (الأصفهاني ، ١٩٩٢م ، ص ٥٩٢:مادة"عهد") .

وكان أول عهد يجب أن يلتزم به الإنسان مع الله هو الربوبية والتوحيد له دون الشرك ، حيث قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف، آية : ١٧٢) . فلا يُمكن تحقيق هذا الأمر من العبودية إلا إذا اعتقد الإنسان علماً وعملاً أن الله وحده له حق الأمر والنهي والحرام والحلال ..

قال حوى : "ولا يفى الإنسان بهذا العهد حتى يعتقد علماً وعملاً أن الله وحده له حق الأمر والنهي والتحليل والتحرير ، فعنه يتلقى وله يُطيع ، ومتى أعطى المسلم حق الطاعة المطلقة أو حق التشريع والتحليل والتحرير لأحد غيره من هيئة أو جماعة أو فرد أو مجلس فقد نكث بعهد الله وميثاقه" (حوى ، ١٩٨٢م : ص ٢٤٢) .

٢- الالتزام بالعهد الذي بين العبد والناس

أي بين الخلق ، ويدخل فيه كل تعامل مع الناس ، وكذلك قيام المسلم بالالتزام به من قول أو كتابة تجاه إخوانه المسلمين ، أي أن كل سلوك يرتبط بفعل الإنسان مع الآخرين من كلام أو عقود أو بيع أو شراء وغيرها التي تربط كل هذه السلوكيات الأخلاقية التي يجب على المسلم أن يفى بها كاملة .

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أوْتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر" (مسلم ، ٢٠٠٢ : ص ٥٥) .

ولقد قال الله تعالى في حق المنتقين المخلصين بأفعالهم التي اتصفوا بها هذه المكانية هو قيامهم بأفعال وسلوكيات تكون على منهج الوفاء بالعهد حيث قال تعالى : {.... وَالْمُؤْفُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (البقرة ، آية : ١٧٧) .

قال السعدي : " والعهد : هو الالتزام بإلزام الله أو إلزام العبد لنفسه. فدخل في ذلك حقوق الله كلها ، لكون الله ألزم بها عباده والتزموا ، ودخلوا تحت عهدها ، ووجب عليهم أدائها ، وحقوق العباد ، التي أوجبها الله عليهم ، والحقوق التي التزمها العبد كالإيمان والنذور ، ونحو ذلك ... { أولئك } أي : المتصفون بما ذكر من العقائد الحسنة ، والأعمال التي هي آثار الإيمان ، وبرهانه ونوره ، والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقة الإنسانية ، فأولئك هم {الذين صدقوا} في إيمانهم ، لأن أعمالهم صدقت إيمانهم ، { وأولئك هم المتقون } لأنهم تركوا المحظور ، وفعلوا المأمور ؛ لأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير ، تضمننا ولزوما ، لأن الوفاء بالعهد ، يدخل فيه الدين كله ، ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات ، ومن قام بها ، كان بما سواها أقوم ، فهو لاء هم الأبرار الصادقون المتقون " (السعدي، ١٩٨٨م /١: ١٣٨) .

من خلال هذه التفاسير والأقوال والإشارات نجد أن الوفاء بالعهد ضرورة تربوية للنفس حتى يتعود أن يلتزم بما عاهد الله عليه من أعمال وأفعال وهو دليل إيمان الفرد المسلم وتقواه . لذلك نجد أن الوفاء بالعهود والعقود والمواثيق وعدم الغدر له فوائد سلوكية على الشخص المسلم حيث الحفاظ على المواثيق والعهود مما يربط المجتمع بعضه ببعض فينتج عنه مجتمعا قويا .

والله تعالى حثنا على الوفاء بالعهود مما يترتب عليه الأجر العظيم يوم القيامة . قال الله تعالى : {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ إِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} (النحل ، آية : ٩١) .

قال القرطبي : " لفظ عام لجميع ما يُعقد باللسان ويلتزم الإنسان من بيع أو صلة أو موثقة في أمر موافق للديانة " (القرطبي ، ٢٠٠٦ : ٤١٦/١٢) .

من دلالات هذه التفاسير نرى الوفاء مطلوب مع الجميع حتى يتحقق مدلول الإيمان والتقوى لدى المسلم في علاقته مع الآخرين .

٣- الالتزام بعدم نقض العهد

ويتحقق ذلك في قوله تعالى : {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ} (الأنفال ، آية : ٥٥-٥٦) .

قال ابن كثير في التفسير: "أخبر تعالى أن شر ما دب على وجه الأرض هم الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين كلما عاهدوا عهداً نقضوه ، وكلما أكدوه بالإيمان نكثوه"(ابن كثير ، ١٩٩٠م : ٣٠٦/٢) .

وهناك أدلة من السنة والسيرة على الوفاء بالعهود والالتزام بها ليتحقق دور التقوى ودلالاتها التربوية لدى المسلم في تعامله في المجتمع وهي :

يقول عبدالله بن أبي الحساء ، بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بيعة وبقيت له بقية فوعده أن آتية بها في مكانه ، فنسيت ثم تذكرت بعد ثلاث ، فجئت فإذا هو في مكانه فقال : يا فتى ، لقد شققت عليّ ، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظر ك" (أبو داود، ب.ت:ح٤٩٩٦، ص٧٤٨) .

والغدر شيمة سيئة في حق المسلم تنعكس سلباً على سلوكه وأعماله في المجتمع ويترتب عليه نتائج عكسية تؤدي إلى فقدان الثقة ، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من مثل هذه الأعمال حيث قال : "إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة فيقال : هذه غدره فلان بن فلان" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح١٧٣٥، ص٩٢٤) .

وقال -صلى الله عليه وسلم : " من قتل معاهداً ، لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً" (الترمذي ، ب.ت : ح٢٦٨٦، ص٤٥٦) . وفي رواية أخرى : " من آمن رجلاً على دمه فقتله فإنه يحمل لواء غدر يوم القيامة" (ابن ماجة ، ب.ت : ح٢٦٨٨، ص٤٥٧) .

٤ - الالتزام بالعهد في مواطن الجهاد

والوفاء بعهد الله في مواطن الجهاد دليل على تربية المسلم على الثبات على عهد الله بالدفاع عن الدين والشريعة بالجهاد بالنفس ، وهي من الموائيق التي أخذها الله على الذين صدقوا في جهادهم بعد العهد الذي قطعوه على أنفسهم ، وقد مدح الله تعالى هؤلاء بقوله : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا رِجَالًا﴾ (الأحزاب ، آية : ٢٣) .

قال ابن عاشور : "أعقب الثناء على جميع المؤمنين الخالص على ثباتهم وبقينهم واستعدادهم للقاء العدو الكثير يومئذ وعزمهم على بذل أنفسهم ولم يقدر لهم لقاءه كما يأتي في قوله وكفى الله المؤمنين القتال بالثناء على فريق منهم كانوا وفوا بما عاهدوا الله عليه وفاء بالعمل والنية ، ليحصل بالثناء عليهم بذلك ثناء على إخوانهم الذين لم يتمكنوا من لقاء العدو يومئذ ليعلم أن صدق أولئك يؤذن بصدق هؤلاء لأن المؤمنين يد واحدة" (ابن عاشور ، ب.ت : ٣٠٦/١٠) .

ومعنى صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، أنهم حققوا ما عاهدوا عليه ، فإن العهد وعد وهو إخبار بأنه يفعل شيئاً في المستقبل فإذا فعله فقد صدق ، لذلك نجد أن دلالات التقوى في التزام عهد الله تعالى في العبادات والتوحيد له سبحانه وتعالى دليل إيمان الذين صدقوا في مواطن اللقاء مع العدو ، فهذا يُعطيهم الثناء والذكر حتى يكون لهم الأجر عند الله .

٥- الوفاء بالعهد الديني لله تعالى

فالوفاء صفة أساسية في بناء المجتمع المسلم ، وقاعدة تقوم عليها حياة الفرد وبناء الجماعة ، فإذا فقدت الاستقامة والثقة وضعفت الأواصر وتهاوت العلاقات ، وصدق الله تعالى إذ يقول : {بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} (آل عمران ، آية : ٧٦) .

قال الطبري في تفسير ذلك العهد : " بلى من أوفى بعهد الله الذي عاهده في كتابه فأمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدق به وبما جاء به من الله من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها وغير ذلك من أمر الله ونهيه { واتقى } يقول : واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به وسائر معاصيه التي حرمها عليه فاجتنب ذلك مراقبة وعيد الله وخوف عقابه { فإن الله يحب المتقين } يعني : فإن الله يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه ويحذرون عذابه فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرمه عليهم ويطيعونه فيما أمرهم به" (الطبري ، ١٩٨٨ م : ٤٢٠/٣) .

من خلال التفاسير الدالة على مدى حب الله تعالى للمتقين الذين يوفون بعهد الله ويتقون الله في ذلك من أجل ذلك الرضا والحب من الله لهم ، دليل قوي في إيمان هؤلاء الذين يتعهدون بالوفاء بالعهد .

ولا بد من الإنسان المسلم أن يستذكر نعم الله عليه ويحافظ على عهده بها التي منحها الله إياها في ماضيه وجعله بصحة وأغناه ويحمد الله عليها ويستذكر أن النعم من الله .

قال محمد الغزالي : "ومن الوفاء المحمود أن يذكر الرجل ماضيه الذاهب لينتفع به في حاضره ومستقبله ، فإن كان معسراً فأغناه الله ، أو مريضاً فشفاه الله ، فليس يسوغ له أن يفعل بين أمسه ويومه بسور غليظ ، ثم يزعم أنه ما كان قط فقيراً ولا مريضاً ، وبينه على غروره بحاضره مسلماً ، كله فظاظة وجحود .. وهذا نوع من الغدر ينتهي بصاحبه إلى النفاق ، ربما به انطرد به من رحمة الله فلم تتسع بعدئذ له" (الغزالي ، ١٩٨٣ م : ص ٦٠) .

التقوى في مجال الوفاء بالعهد لها دلالات تربوية في سلوك المسلم تتأى به على إدراك الصلاح في النفس والمجتمع حتى يسود العدل والأمان بين أفرادهم .

خلاصة : يتضح مما سبق الدلالات والآثار التربوية التي تؤهل المسلم للوفاء بالعهد تتلخص فيما يلي :

١- تربية النفس المؤمنة على الالتزام بالعهد بكل أنواعه .

- ٢- إقامة الحجة على الذين يفترون على الإسلام أنهم ينقضون العهود مع الغير ، بل إن الصور التي وجدناها تدل على صدق هذا الوفاء .
- ٣- إعطاء صورة واضحة ودلائل دامغة على صدق هذا الدين مع الأعداء في الوفاء بالعهود ومع أهل الإيمان .
- ٤- توطين قواعد الدين في كل العالم حتى تكون كلمة الله هي العليا بالالتزام بكل ماجاء به الإسلام بالالتزام بالعهد .
- ٥- تربية الأبناء على تقبل دلائل الوفاء بالعهد لأنه أصل هذا الدين .
- ٦- المعلم هو الأساس في تعليم هذه المفاهيم التربوية حتى يخرج جيلاً يعرف مفهوم الوفاء بالعهد وتمكين هذا الدين في كل مكان .

الفصل السادس

الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الجهادي

- تمهيد

أولاً : تقوى المجاهدين دلالة تربوية

ثانياً : صبر المجاهدين دلالة تربوية

ثالثاً : غنائم المجاهدين دلالة تربوية

رابعاً : وفاء المجاهدين بالعهد دلالة تربوية

الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في الجانب الجهادي

تمهيد

للجهاد في سبيل الله أهمية عظيمة في الإسلام ، الذي من خلاله يحافظ المسلمون على كيانهم وعقيدتهم ودينهم .

ويُعتبر الجهاد ذات صلة قوية بالعقيدة ، حيث لا قيمة للجهاد إن لم يكن في سبيل الله ، أي توحيده وترسيخ معالم العبودية والربوبية لله تعالى حيث قال تعالى : {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (الأنفال ، آية : ١٢١) .

للعقيدة صلة بالغة في آيات الجهاد ، فلا قيمة للجهاد إن لم يكن في سبيل العقيدة . قال صلى الله عليه وسلم : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" (مسلم ، ٢٠٠٢ م : ح ١٩٠٤) . وقال تعالى يحث على الجهاد : {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ} (الحج، آية : ٧٨) .

قال الطبري في قوله تعالى {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} : "فقال بعضهم : معناه ، وجاهدوا المشركين في سبيل الله حق جهاده" (الطبري ، ١٩٨٨ ، ص ٦٨٨/١٨) . وعن سعيد الخدي أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أي الناس أفضل ؟ فقال : رجل يُجاهد في سبيل الله بماله ونفسه...." (مسلم ، ٢٠٠٢ م : ح ١٩٨٨ ، ص) .

وقد تحدثت السور المدنية عن التشريع والجهاد وربطتهما بالعقيدة لينال المسلم درجة المتقين من خلال إقدامه على التضحية بالمال والنفس .

لذلك فإن أمر الجهاد في الأمة الإسلامية عظيم الأجر وهو السد المنيع ضد الأعداء ، ولا تكون روح الجهاد إلا بالاستسلام لله عز وجل أولاً .

"ولكن روح الجهاد لن تنبعث في قلوب الشباب إلا إذا أسلموا أنفسهم لله عز وجل ، يرببهم بحكمته ، ذلك أن الطاقات المودعة في الإنسان قد تُستثار لمؤازرة الحق والخير" (ياسين ، ١٩٨١ م : ص ٤) .

ومعاني الجهاد في اللغة والشرع هو ما كان في هذه المفاهيم : "الجهاد لغة :- جهد : الطاقة ، والجهاد بالفتح المشقة ، والتجهد بذل الوسع" (الرازي ، ب.ت : ص ٧٤) . "جهاد : وبالكسر القتال مع العدو ، والتجاهد : بذل الوسع كالأجتهد" (الفيروز بادى ، ٢٠٠٣ م : ص ٢٧٥) .

"الجهاد ، يُقال جهدت نفسي وأجهدت ، الطاقة والمشقة" (زكريا ، ١٩٩٩ م : ٤٨٦/١) .

شرعاً - "محاربة الكفار ، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل" (ابن الأثير ، ب.ت : ٣١٩/١) .

وقال بن تيمية : والجهاد هو بذل الوسع وهو القدرة - في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق . وقال في موضع آخر : وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان" (القادري ، ب.ت ، ١ / ٥٠) .

"فهو الوسيلة لتعريف الناس بالتصور الصحيح عن الخالق والكون والحياة ، وهو الوسيلة لإقناع الناس بالعودة إلى ربهم وعبادته وهو الوسيلة للحيلولة بين الطغاة والمستغلين ، وبين الناس لتمكينهم من الاختيار الحر ، والنظر السليم ، وتذوق طعم الدلائل والبراهين والآيات التي نصبها الله للعباد ، والتي ما تفتأ الطواغيت تصد عنها عباد الله" (ياسين ، ١٩٨١ م : ص ٦) .

فالجهاد عنصر أساسي في حياة الأمة المسلمة الذي به ترتفع راية هذا الدين لتكون كلمة الله العليا ، ويتحقق ذلك من خلال جهاد المسلم وربطه بتقوى الله ، لذلك وجب الجهاد على المسلمين والعمل على تحرير الوطن والدين .

وقد أشار لذلك طبارة بقوله : "لست تجد أيها القارئ نظاماً قديماً أو حديثاً عني بشأن الجهاد والجنديّة واستنفار الأمة وحشد قواها المادية كلها للدفاع عن كيانها مثلما نجد في دين الإسلام وتعاليمه فهذا الصدد" (طبارة ، ١٩٧٣ م : ص ٢٩٢) .

وقد أكد الله على الجهاد وحرّض عليه سواء كان صغيراً أو كبيراً نساءً أو رجالاً ، حيث قال الله تعالى : {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (التوبة ، آية ٤١) .

فنجد ثمرة الجهاد من النصوص القرآنية كما قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (الصف ، آية ١٠-١٢) .

"في هذا النص القرآني رتب الله سبحانه النجاة من النار ومغفرة الذنوب ودخول الجنة على الجهاد في سبيله بالأنفس والأموال ، وأكد أيضاً أنهم إن فعلوا ذلك أعطاهم ما يُحبون من النصر والفتح القريب" (طبارة ، ١٩٧٣ م : ص ٢٩٤) .

لذلك فالجهاد رمز الأمة وعزتها وكرامتها ، فهم لا يُقاتلون لدنيا وإنما لرفع راية الدين .

"قال المؤمن لا يقاتل لمغنم دنيوي ولا لأي أمر آخر ، إنما يقاتل ويجاهد لأنه أمره بذلك ، لذلك نجح المؤمنون نجاحاً باهراً ، وفتحت أمامهم الدنيا ودانت لهم الأرض لسبب ذلك الهدف الذي كان قائماً في نفوسهم" (الأطرش ، ٢٠٠٢ م : ص ٢٤١) . وقد تجلّى ذلك في قول ربعي بن عامر

عندما قال لرستم : "جننا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام" (ابن كثير ، ١٩٨١م : ٣٩/٧) .

"ومعنى الحكمة في الجهاد بأنواعه : أن يُعبد الله وحده مع ما يتبع ذلك من دفع العدوان والشر ، وحفظ الأنفس والأموال ، ورعاية الحق وصيانة العدل ، وتعميم الخير ونشر الفضيلة" (الجزائري ، ١٩٧٦م : ص ٣٠١) .

من خلال هذه المقدمة في فضل الجهاد وفضائله والذي لا بد الإشارة في معاني التربية الروحية الجهادية في النفس لتصل إلى مستوي الربانية لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (آل عمران ، آية : ١٦٩-١٧٠) .

وسوف يتحدث الباحث عن معاني التقوى في آيات الجهاد التي ارتفعت وسمت بالمؤمن المجاهد إلى مستوى أعلى من الروحانية .

أولاً : تقوى المجاهدين دلالة تربوية

التقوى للمجاهد أساس لثباته ومواجهته للعدو ، لذا لا بد من التقوى في هذه المواجهة التي تعينه على الثبات ، وهو ما بينه الأطرش بقوله : "إن من أهم صفات المجاهدين هي التقوى ، فلا بد من ملازمتها للمؤمن المجاهد في سبيله تبارك وتعالى حتى يكون أهلاً لنصر الله تعالى" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ٢٤٣) ، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزواته يؤمر لها أميراً يقود هذه الغزوات في سبيل الله فيوجهه أولاً وقبل كل شيء بتقوى الله في قتاله للأعداء . وهو ما رواه مسلم عن بريدة وصلي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى ، ومن معه من المسلمين خيراً" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ج ١٧٣١ ، ص ٩٣٢) .

يقول النحلاوي : "من طبيعة النفس الإنسانية التعلق بملذات الحياة ، والخلود إلى الراحة والخروج إلى القتال يقتضي ترك الملذات ، وتوطين النفس على المشقات وتعريضها للموت في سبيل الله هدف أسمى من هذه الحياة ، ألا وهو الخلود في النعيم والجنات ، والشعور برحمة الله ورضوانه وقد اقتضت حكمة الله أن يجعل الجهاد امتحاناً للإيمان بالله ، وبما وعدنا الله من جنات النعيم" (النحلاوي ، ١٩٨٨م : ص ١٨٧) .

وقد وصف القرآن المؤمنين في سياق القتال والجهاد بالمتقين حتى تكون لهم المكانة وإبراز صفة التقوى والأهمية العظيمة في نفوس المجاهدين وحثهم على التضحية وبذل النفس في سبيل الله من أجل رفع كلمة لا إله إلا الله ، والعمل على إظهار قوتهم أما العدو الذي

يتربص بهم الدوائر مصداقاً لقوله تعالى في ذلك: {لَيَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} (التوبة، آية : ١٢٣) . "وكثيراً ما يتم التعبير عن المؤمنين في سياق القتال والجهاد بالمتقين ، وذلك إبرازاً لصفة التقوى وأهميتها" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ٢٤٣) .

قال أبو السعود : " ووضع الظاهر موضع الضمير للتصحيح على أن الإيمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى ، والشهادة بكونهم من زمرة المتقين" (أبو السعود ، ١٩٩٤ : ١١٢/٤) . وأكد في قوله : " إن الله مع المتقين " ، ولم يقل : إن الله معكم . قال الألوسي : " وإنما وضع المظهر موضع المضمرة مدحاً لهم بالتقوى ، حثاً للفاصرين على ذلك ، وإيداناً بأنه المدار في النصر" (الألوسي ، ب.ت : ٧٢/٧) .

فدلالة التقوى في نفوس المجاهدين في قتال الكافرين هي أساس معية الله تعالى للمؤمنين المتقين إذا كانت نيتهم خالصة لله ، فينصرهم على عدوهم ويكون معهم في هذا الموقف الصعب لقتال الكافرين .

وقد ورد في آية أخرى معنى معية الله للمتقين في موطن قتال الكافرين وجهادهم بالنفس والمال حيث قال الله : {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} (التوبة ، آية : ٣٦) .

قال الطبري : "واعلموا أن الله مع المتقين" فإن معناه : واعلموا أيها المؤمنون بالله أنكم إن قاتلتم المشركين كافة واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم ولم تخالفوا أمره فتعصوه كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين ومن كان الله معه لم يغلبه شيء لأن الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه" (الطبري ، ١٩٨٨م : ١٠٠/١٢٩) .

من خلال هذه الآيات نجد أن الجهاد ذو درجة عالية للمتقين الذين يجاهدون حق الجهاد بإخلاصهم وهي صفة ذات دلالة إيمانية وتربوية للنفس التي تبذل في سبيل الله .

خلاصة : يتضح مما سبق دلالات وآثار تربوية تُربي المجاهدين على تقوى الله وهي :

- ١- تربية النفس المؤمنة على بذل الغالي وهي الروح والمال في سبيل الله تعالى .
- ٢- تقوية روح الجهاد في نفوس المسلمين .
- ٣- إعطاء قوة إيمانية للجيل الناشئ بحب الدين وبذل كل شيء في سبيل إعلاء كلمة الحق .
- ٤- إحياء فكرة إنشاء دولة الإيمان في قلوب المؤمنين ولا يكون إلا بالتضحية بالنفس .
- ٥- إشعار أمة الإسلام أن لا رفعة لهذه الأمة ولا عزة إلا بروح الجهاد والمقاومة لأعداء الله .

ثانياً : صبر المجاهدين دلالة تربوية

الجهاد يحتاج إلى همّة عالية وصبر ومصابرة في مقاومة العدو ، لذا فإن الجهاد له دور بارز في مواطن المواجهة مع العدو ، لا بد من صقل المجاهد بسلوك الصبر حتى يثبت في هذا الوطن ، فقد أشار الأطرش لذلك فقال : "ومن أهم واجبات المؤمن في المعركة ، هي الصبر في مواطن القتال ، فلا نصر بلا صبر" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ٢٤٤) .

والقرآن كثيراً ما تحدث عن الصبر وقرنه بالتقوى ، فإن من تمسك بالصبر والتقوى كان في مأمن من كيد الأعداء وكانت له العاقبة والنصر ، ومن الدلالات التربوية لصبر المجاهدين :

١- الأمان من الأعداء

أنهم إذا تمسكوا بالصبر والتقوى كانوا في مأمن من كيد الأعداء ، والله سبحانه يحيطهم برعاية منه وحفظ من مكرهم ، ويختتم الله لهم بالنصر والتمكين حيث قال الله تعالى : {إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} (آل عمران ، آية : ١٢٠) .

قال القرطبي : "وإن تصبروا" أي على أذاهم وعلى الطاعة وموالاتة المؤمنين وتنتقوا لا يضرهم كيدهم شيئاً" يقال : ضاره يضره ويضيره ضيراً وضوراً فشرط تعالى نفي ضررهم بالصبر والتقوى فكان ذلك تسلياً للمؤمنين وتقوية لنفوسهم" (القرطبي ، ٢٠٠٦م : ٢٨١/٥) .

فدلالة التقوى في مجال البر لها أهمية كبيرة في تثبيت المؤمنين في مواطن القتال والحرب ، وأن كيد الأعداء لا يضر ما دام المسلم معتصم بالله عز وجل .

٢- أجر الرباط والمرابطين

حيث أمرنا الله تعالى في هذه المواطن الجهادية بالصبر والرباط والتقوى ، وتبين ذلك من قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (آل عمران ، آية : ٢٠٠) .

فالنداء هنا للمؤمنين بأن يصبروا ويزيدوا من درجات الصبر والمصابرة والمرابطة عسى أن يفلحوا في الآخرة مع حصولهم على التقوى .

والرباط له أجر عظيم عند الله ، حيث قال صلى الله عليه وسلم : "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها" (الترمذي ، ب.ت : ح ١٦٦٤ ، ص ٣٩٠) .

وللرباط معانٍ كبيرة في نفسية المسلمين الذين يريدون النصر لهذا الدين ، ومعنى هذا أنه لا بد من أخذ الحيطة والحذر . "الرباط هو مرابطة الجيوش الإسلامية بسلاحها وعتادها

الحربي في أماكن الخطر والثغور التي يُمكن للعدو أن يدخلها أو يُهاجم المسلمين بلادهم منها" (الجزائري ، ١٩٧٦م : ص ٣٠٢) .

وهناك دلالات تربوية في تفسير هذه الآية :

قال القرطبي : " قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اصبروا } ختم تعالى السورة بما تضمنته هذه الآية العاشرة من الوصاية التي جمعت الظهور في الدنيا على الأعداء والفوز بنعيم الآخرة فحض على الصبر على الطاعات وعن الشهوات وعن الصبر الحبس { واتقوا الله } أي لم تؤمروا بالجهاد من غير تقوى { لعلكم تفلحون } لتكونوا على رجاء من الفلاح وقيل : لعل بمعنى لكي والفلاح البقاء وقد مضى هذا كله في البقرة مستوفى والحمد لله" (القرطبي ، ٢٠٠٦م : ٤٩١/٢) .

يقول الصلابي : "الصبر مع نفسك والمصابرة بينك وبين عدوك ، والمرابطة لزوم ثغر القلب لئلا يهجم عليه الشيطان فيملكه أو يخربه أو يشغته" (الصلابي ، ٢٠٠٠م : ص ٥٢١) .

٣- المدد الإلهي

وقد بين الله تعالى أن جهاد المتقين وصبرهم في مواطن المعركة له دور كبير في دحض الأعداء وخصوصاً إذا كانت المواجهة مباشرة مع العدو فنجد أن المدد يكون من الله دلالة أنه مع المتقين حيث قال تعالى : ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران ، آية : ١٢٥) .

"فقد بين الله تعالى أن المؤمنين في غزوة أحد لو أنهم صبروا وانتقوا ربهم لأمدتهم بالملائكة ونصرهم على أعدائهم" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ٢٤٥) .

قال الطبري : " كان هذا الوعد من الله لهم يوم بدر فصبر المؤمنون وانتقوا الله فأمدهم بملائكته على ما وعدهم" (الطبري ، ١٩٨٨م ،) .

وقال أبو السعود : "إن تصبروا على لقاء العدو ومناهضته . وتتقوا معصية الله ومخالفة نبيه عليه السلام" (أبو السعود ، ١٩٩٤م : ٨٠/٢) .

تبين من هذا الموجز للتفسير المتعلقة بالصبر والتقوى في المرابطة نستدل منها دلالة تربوية على أن الصبر والتقوى رمز المدد من الله وأنه بيده الأمر وهو القادر على كل شيء ينصر عباده المؤمنين الذين صبروا وانتقوا .

٤- التمكين في الأرض

وفي مواطن التمكين للمتقين المجاهدين الذين صبروا وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم لا بد من اقتران التقوى بالصبر حتى يتم التمكين "إذا لا بد من الصبر في المعركة واقترانه بالتقوى حتى يكون النصر والتمكين للمؤمنين المتقين" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ٢٤٥) ، فقال الله تعالى : ﴿قَالَ

مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ} (الأعراف ، آية : ١٢٨) .

"إن الجهاد في سبيل الله مقومٌ أساسي من مقومات التمكين للأمة ، وإن الجهاد والتمكين مرتبطان ارتباطاً وثيقاً فلا تمكين إلاّ بجهاد ، فإذا صدق الجهاد كان التمكين بإذن الل رب العالمين" (الصلابي ، ٢٠٠٢م : ٥٨٥) .

وقوله تعالى : { ... وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } (طه ، آية : ١٣٢) .

قال القرطبي : "ولما بلغ قوم موسى من فرعون قال لهم موسى : {استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء} {أطمعهم في أن يورثهم الله أرض مصر} {والعاقبة للمتقين} أي الجنة لمن اتقى وعاقبة كل شيء آخره ولكنها إذا أطلقت فقيل : العاقبة لفلان فهم منه في العرف الخير" (القرطبي ، ٢٠٠٦م ، ٣٠٢/٩) .

وقال الصلابي : "رؤية الصالحين لحقائق الوجود الكبير أن العاقبة للمتقين .. طال الزمن أم قصر ، فلا يُخالج قلوب الداعين إلى رب العالمين قلق على المصير ولا يُخايل لهم تقلّب الذين كفروا في البلاد ويحسبون أنهم باقون" (الصلابي ، ٢٠٠٠م : ص٥٦) .

٥- شكر نعمة الله بعد النصر

فقد من الله على المؤمنين بالنصر في غزوة بدر وطلب شكران النعمة والتي هي النصر المبين على قوى الكفر في مكة ، ودل على أن شكر النعمة لابد وأن يكون بالتقوى ، "تجد أن القرآن الكريم يمتنّ على المؤمنين بالنصر في غزوة بدر ويطلب منهم أن يشكروا الله على هذا النصر ، طلب منهم أن يشكروه بالتقوى" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص٢٤٥) ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران ، آية : ١٢٣) .

قال أبو السعود : "فاتقوا الله اقتصر على الأمر بالتقوى مع كونه مشفوعاً بالصبر فيما سبق وما لحق للإشعار بإصالته وكون الصبر من مبادئه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الأمر بالتقوى على الإخبار بالنصر إيدان بأن نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم أي إذا كان الأمر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ . لعلمكم تشكرون أي راجين أن تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل أو لعلمكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الإنعام" (أبو السعود ، ١٩٩٤م : ٧٩/٢) .

فالتقوى شكر له على النصر ، وحتى يدوم النصر فلا بد من التقوى ، وهي التي منحها الله لهم في هذه المعركة بصبرهم وثباتهم ، وحتى يستمر النصر والتمكين لابد من التقوى والعمل وإدراك ذلك بالصبر والتقوى في مجاهدة الكافرين حتى يظهر الله هذا الدين .

إذن فإن النصر مع الصبر حيث قال صلى الله عليه وسلم : " .. واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً" (الطبراني ، ب.ت : ح ١١٢٤٣، ص ١٢٣) .
وعن فضل الجهاد والاستشهاد قال الله عز وجل : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة ، آية : ١٥٤) .

وصدق صلى الله عليه وسلم عندما قال : "ما أحد يدخل الجنة يُحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة" (مسلم ، ٢٠٠٢م : ح ١٨٧٧، ص ١٠٠٩) .

وقال حوى : "ولما كان هذا لا يكون حتى يعود السلطان في كل قطر إلى المسلمين وتُصغي الأوضاع الكافرة فيه ، فإن هذا واجب . ولما كان هذا لا يتم إلا بالجهاد بالنفس على أرض الإسلام أولاً ، كان ذلك هو الواجب الأعلى لهم" (حوى : ١٩٨٠م : ص ٢٤٠) .
فالقرآن دوما يذكر ويؤكد على التقوى في مجال الجهاد في المعركة ، فهذا الأمر لا بد منه للمجاهد في سبيل الله تعالى لإعلاء كلمة الحق ، وبقدر التقوى في نفوس المؤمنين يتحصل لهم النصر ، وبقدر بعدهم عن التقوى يسلب الله عليهم عدوهم .

خلاصة : يتبين مما سبق بعض الدلالات والفوائد التربوية تربي المجاهدين على الصبر وهي :

- ١- تربية النفس على الصبر في مجالات الجهاد المختلفة .
- ٢- تحصيل درجات الجنة عن طريق بذل الروح في سبيل دعوة الإسلام .
- ٣- إرشاد الجيل الناشئ بالثبات على الحق عن طريق التزام الصبر والتقوى .
- ٤- تعويد النفس على الصبر والتحمل في مواطن الصراع بين الحق والباطل .

ثالثاً : غنائم المجاهدين دلالة تربوية

في هذا المجال يلوح القرآن بالتقوى إرشاداً للمؤمنين حتى لا ينسوا هدفهم الذي قاموا من أجله ، وهو الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى وتمكين الدين في قلوب الأمة ودحر الكفر والشرك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفَؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف ، آية : ٨) .

نستنتج من النص أن الهدف الأول هو إظهار الدين ونشر دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وكان دور المجاهدين أسمى غاية يحصلون عليها إما الشهادة وإما النصر .

وهو ما أشار إليه الأطرش بقوله : "لذلك لما اختلف المؤمنون الأولون من الصحابة في أمر الغنائم نزل القرآن يُرشدهم إلى أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم ويُطيعوا

الله ورسوله" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ٢٤٦) وهذا كان في أول معركة تاريخية ضحى بها المسلمون في سبيل كلمة الحق بأرواحهم وقد نزل القرآن ليوجههم ويرشدهم إلى أن يتقوا الله فيما بينهم ويتقوا الله بإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله في ذلك حتى لا يكون همهم عرض الدنيا فقط بل النهوض من أجل هذا الدين ، لذلك قال الله تعالى مرشداً لهم : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِنْفَالِ قُلِ الْإِنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال ، آية : ١) .

يقول قطب :- " لقد كان الهتاف لهذه القلوب التي تنازعت على الأنفال ، هو الهتاف بتقوى الله وسبحانه خالق القلوب ، العليم بأسرار القلوب إنه لا يرد القلب البشري عن الشعور بأعراض الحياة الدنيا ، والنزاع عليها ... وإن كان هذا النزاع متلبساً هنا بمعنى الشهادة بحسن البلاء .. إلا استجابة الشعور بتقوى الله وخوفه وتلمس رضاه في الدنيا والآخرة.. إن التقوى زمام هذه القلوب التي يمكن أن تقاد منه طائفة ذلولة في يسر وفي هودة.. وبهذا الزمام يقود القرآن هذه القلوب إلى إصلاح ذات بينها" (قطب ، ١٩٨١ ، ٣ / ١٤٧٤) .

وقد أباح القرآن الكريم رغم ذلك الاختلاف أن يأكلوا من هذه الغنائم وقد قرن ذلك بتقوى الله تعالى في هذا المجال هو الأكل الحلال الطيب حيث قال تعالى : ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنفال ، آية : ٦٩) .

"فإذا أكل المؤمنون ما غنموا واتقوا الله في ذلك فإن الله يغفر لهم" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ٢٤٦) .

فإن الأكل والشرب من هذه الغنائم إذا غنمها المؤمنون ليس عليهم حرج ويكون بتقوى الله وطلب مغفرته ، فبهذا نجد أن الله يغفر لهم ويعفو عنهم بالتقوى . قال ابن عاشور : "وذيل ذلك بالأمر بالتقوى ؛ لأن التقوى شكر الله على ما أنعم من دفع العذاب عنهم" (ابن عاشور ، ب.ت : ٧٩/١٠) .

نستنتج مما سبق أن طاعة الله تعالى وتقواه في أمر الغنائم يدل على مدى فهم المجاهدين لطريقهم وهو طريق الشهادة وطريق العزة والكرامة لإخراج الأمة من الانحراف إلى طاعة الله لا للتهافت على الدنيا الزائلة .

خلاصة : يظهر لنا أن أمر الغنائم لها حساسية معينة ؛ لأنها أمر يهم جميع المجاهدين الذين ضحوا بدمائهم وأنفسهم ، فلا بد من وضع التقوى أولاً في المقام الأول ، ثم طاعة الله ورسوله ، له أثر تربوي ودليل على أن هذا الأمر مهم في إصلاح ذات البين .

١- إرشاد المجتمع لمعاني الإصلاح في حالة النزاع على مغنم أو أي عرض زائل .

٢- نشر المحبة في سبيل الله وخصوصاً في مجال الجهاد .

٣- ربط المؤمن بالآخرة وليس الدنيا الزائلة .

٤- إظهار سلوك الأخوة والربط بينهم على أساس وحدة الدين وليس المال ولا الغنائم .

رابعاً : وفاء المجاهدين بالعهد دلالة تربوية

الوفاء بالعهد ركن أساسي في حياة الأمة التي تريد حياة طيبة ، والعهد بالنسبة للمجاهد أمري ضروري خصوصاً عند ظهور الحق في المجتمعات ، لذلك لا بد من الوفاء مع غير المسلمين عندما القوة للمسلمين ، فالمجاهد يلتزم بما أمر الله بالوفاء بالعهد ، وهذا ما أشار إليه الأطرش بقوله : "ربط القرآن الكريم قضية المعاهدات بالتقوى ليدلنا على أن العهد مع غير المسلمين إنما هو تعامل مع الله أولاً قبل أن يكون تعاملًا مع البشر ، لذلك يجب الوفاء بالعهد حتى مع غير المسلمين" (الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص ٢٤٧) .

ونظراً لأهمية المعاهدات في علاقات المسلمين بغيرهم بصورة عامة وفي الحرب بصورة خاصة وجدنا أنها ترشدنا وتدلنا على أن العهد مع غير المسلمين إنما هو تعامل مع العلي العظيم أولاً قبل أن يكون تعاملًا مع بني البشر .

لذلك وجب الإيفاء بالعهد والوعد مع غير المسلمين وعدم الغدر والخديعة التي ليست من شيمة المسلمين ، ولأهمية الوفاء بالعهد بالعهود والذي يعتبر العنصر الأول لبقاء عنصر الثقة بالمسلمين وأنهم أهل الوفاء وأهل العهد بامثالهم منهج الله حقيقة وعملاً ، فقد أكد القرآن على العهد وربط طريقه بالتقوى مصداقاً لقوله تعالى : ﴿... فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة ، آية : ٤) دلالة على أن على المسلم أن يفي بالعهد لغير المسلمين حتى يحبهم الله وحتى يدل على مدى صدق المسلمين .

قال أبو السعود : "تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على أن مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وأن التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وإن كان المعاهد مشركاً" (أبو السعود، ١٩٩٤م : ٤٢/٤) .

وقال الأوسي : {إن الله يحب المتقين} وتعليل لوجود الامتثال ، وتنبيه على أن مراعاة العهد من باب التقوى ، وأن التسوية بين الغادر والوفي منافية لذلك ، وإن كان المعاهد مشركاً" (الأوسي ، ب.ت : ٧٢/٦) .

من خلال هذه الدلالة لمحبة الله للمتقين الذين يوفون بالعهد مع غير المسلمين يظهر لنا الدليل على قيمة العلاقة في المجتمع المسلم بغير المسلمين ومدى صدقهم وخصوصاً الذين يتقون الله تعالى .

وهو ما بينه الأطرش : "فمسألة الوفاء بالعهد ليست مسألة مصلحة ، إنما هي تعامل مع الله ، ولهذا ربطها القرآن بالتقوى حثاً على الوفاء بها"(الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص٢٤٧) .

قال قطب : " ونلمح هنا أن الوفاء بالعهد مرتبط بالتقوى ، ومن ثم فلا يتغير في التعامل مع عدو أو صديق ، فليس هو مسألة مصلحة ، إنما هو مسألة تعامل مع الله أبداً دونما نظر إلى من يتعامل معهم . وهذه هي نظرية الإسلام الأخلاقية بصفة عامة في الوفاء بالعهد وفي سواه من الأخلاق ، التعامل هو أولاً تعامل مع الله ، يلحظ فيه جناب الله ويتجنب به سخطه ويطلب به رضاه ، فالباعث الأخلاقي ليس هو المصلحة وليس هو عرف الجماعة..."(قطب ، ١٩٨١ : ٤١٨/١) .

فالقرآن عاب الذين ينقضون العهود وجعلها من صفات أعداء الله الذين لا يتقون الله في هذا الأمر . "لذلك جعل القرآن نقض العهد من صفات أعداء الله الذين لا يتقون الله"(الأطرش ، ٢٠٠٢م : ص٢٤٨) .

قال الله تعالى فيهم : ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾(الأنفال ، آية : ٥٦) .

فالعهد بالنسبة للمتقين المجاهدين له علاقة قوية ودليل مفهوم التقوى الذي يؤثر على سلوكهم ويجعلهم في محبة الله لهم .

خلاصة : يظهر مما سبق دلالات وفوائد تربوية تُعين المجاهدين على الوفاء بالعهد تتلخص فيما يلي :

- ١- تعميق حب الإيمان في قلوب المجاهدين .
- ٢- تعزيز دور التقوى في نفس المجاهد حتى يقبل ولا يدبر بغية الشهادة أو النصر .
- ٣- دلالة التزام المؤمن العهد مع الله أولاً ثم مع الغير .
- ٤- توثيق الصلة بين المسلمين الذين لا يدبروا المكائد ويحفظوا العهد مع المسلمين .
- ٥- إشارة ودلالة التقوى في قلوب المؤمنين ورحمتهم لغيرهم .

النتائج والتوصيات

أولاً : النتائج

من خلال الدراسة والتحليل لمفهوم التقوى في القرآن والدلالات التربوية والتي تُشير إلى النتائج التالية :-

٦- إن مفهوم التقوى في القرآن يُنظَّم كل أعمال الإنسان الخيرة من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة التي تُساهم في بناء شخصية المسلم .

٧- هناك دلالات تربوية لمفهوم التقوى في المجال الإيماني تؤدي بالإنسان المسلم إلى سلوك سبيل الاستقامة في الاعتقاد والفكر والسلوك .

٨- لمفهوم التقوى دلالات تربوية في مجال العبادات تُساهم في أن يجمع الإنسان في أعماله بين الإخلاص والتجرد من جهة والصواب والإتقان من جهة أخرى .

٩- الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الأخلاقي تُسلِّح المسلم بسياج يقيه من الوقوع في الرذائل ويجعله قدوة لغيره في الصدق والتواضع والإيثار .

١٠- الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في المجال الجهادي تُعني ببناء سلوك المجاهد وضبطه وسلامته من الغدر والظلم والاعتداء .

١١- تجلَّى مفهوم التقوى ودلالاته التربوية في جميع مناحي الحياة المختلفة ، والتي تُعتبر مسلك رئيسي لحياة الأمة لربطها بطاقة الله في كل شئ من خلال الالتزام بالتقوى كدليل تربوية للنفس .

١٢- ظهر من الدراسة أن التقوى بمفهومها التربوي تُعد المسلم في حياته إلى الالتزام بكل سلوك طيب وحميد ، فيكون بذلك قدوة لمن يراه .

١٣- تبين من الدلالة التربوية لتقوى المجاهدين أيضاً شئ مهم في معاملته لغير المسلمين ، حيث تدل على حفظ من التزم بعهد الذمة مع المسلمين ، وأن المسلم يجب عليه أن يحفظ هذا العهد .

ثانياً : التوصيات

أثبتت الدراسة الحالية وجود دلالات تربوية في القرآن الكريم مدعّمة لمفهوم التقوى ، وفي ضوء نتائج الدراسة يقدم الباحث مجموعة من التوصيات التي من

شأنها أن تُساعد ذوي الشأن في التركيز على مثل هذه الدراسات وتدعيم مثل هذه السلوكيات .

١- إن الدلالات السلوكية التربوية لمفهوم التقوى لها تأثير قوي وفعال على الفرد المسلم ، من حيث تنظيم كل الأعمال الخيرة من قول وعمل ظاهرة وباطنة .

٢- الاعتماد على الجانب التطبيقي لهذه الدلالات في المناهج الفلسطينية سيما كتب التربية الإسلامية .

٣- الحث على ترسيخ مبدأ التقوى ليكون أساساً في سلوكيات ومعاملات الناس في كل أمور حياتهم .

٤- عقد دورات تربوية متخصصة للخطباء والوعاظ في دراسة كيفية تطبيق التقوى في حياتنا اليومية والتعريف بها .

٥- إصدار نشرات دورية تثقيفية متعلقة بمبدأ أن التقوى لها آثار أساسية في بناء المجتمع والأفراد وإيصالها إلى جميع المختصين من الدعاة والمساجد والمؤسسات التعليمية للتعريف بدور التقوى التربوي .

٦- المشاركة في ورش عمل لإعداد جيل يحمل أمانة التقوى في المستقبل لتطبيقها أولاً بأول .

٧- ضرورة مراعاة القائمين على بناء المناهج سيما الدينية منها ترسيخ مبدأ التقوى في كل أمور الحياة .

٨- اهتمام وزارات التربية والتعليم بأقسامها المتنوعة على جعل المعلم قدوة يتحلّى بصفات التقوى ليتأثر بها الطالب .

ثالثاً : المقترحات

في ضوء نتائج الدراسة والتوصيات التي طرحت واستكمالاً لهذه الدراسة يقترح الباحث ما يلي :

١- إجراء دراسات أخرى للتقوى ودلالة آثارها التربوية وبيان أهميتها في السنة النبوية .

٢- إجراء دراسات تربوية تُعني بالتقوى وأثرها بتربية السلوك أو التقوى ودليلها الأخلاقي على النفس وغيرها من الدراسات .

٣- إجراء دراسات مماثلة من حياة الصحابة والتابعين .

٤- تبني القائمين على بناء المناهج لنظرية تربوية إسلامية تركز في مضمونها على التقوى وتنبثق الدلالات التربوية من معيها .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم : تنزيل العزيز الرحيم

- ١- ابن الأثير ، (ب ، ت) : النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، المكتبة الإسلامية ، بيروت .
- ٢- ابن الجوزي ، (١٩٨٧م) : زاد المسير في علم التفسير ، ط٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- ٣- ابن الجوزي ، (٢٠٠٤م) : المدهش ، تحقيق أحمد الطاهر حامد البسيوبي ، دار الحديث للطباعة والنشر ، القاهرة .
- ٤- ابن الجوزي ، أبي الفرج عبد الرحمن ، (ب.ت) : صفة الصفوة ، تحقيق طارق محمد عبد المنعم ، دار ابن خلدون ، الاسكندرية .
- ٥- ابن خزيمة ، أبي بكر محمد بن إسحاق ، (١٩٩٢م) : صحيح ابن خزيمة ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- ٦- ابن سعد ، محمد ، (١٩٩٧م) : الطبقات الكبرى ، تحقيق عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٧- ابن عاشور ، محمد الطاهر ، (ب . ت) : التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .
- ٨- ابن قدامة المقدسي ، (١٩٧٨م) : مختصر منهاج القاصدين ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت .
- ٩- ابن قيم الجوزية ، (١٩٨٨م) : مدارج السالكين ، الطبعة الأخيرة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .
- ١٠- ابن قيم الجوزية ، (١٩٩٤م) : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، ط٥ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ١١- ابن قيم الجوزية ، (ب.ت) : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي "الدار والواء" ، آفاق للطباعة والنشر والتوزيع ، غزة ، فلسطين .
- ١٢- ابن قيم الجوزية ، (ب.ت) : تهذيب مدارج السالكين ، هذبه عبد المنعم صالح العلي ، مطبعة كاظم ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة .

- ١٣- ابن كثير ، (١٩٨١م) : البداية والنهاية ، ط٣ ، مكتبة المعارف ، بيروت .
- ١٤- ابن كثير ، (١٩٨٨م) : تفسير القرآن العظيم ، ط٢ ، دار الحديث ، القاهرة .
- ١٥- ابن ماجة ، (ب.ت) : سنن ابن ماجة ، تحقيق ناصر الدين الألباني ، ط١ ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض .
- ١٦- ابن منظور ، (١٩٩٣م) : لسان العرب ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٧- أبو السعود ، (١٩٩٤م) : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ط٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٨- أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، (ب . ت) : سنن أبي داود ، ط١ ، مكتب المعارف ، الرياض .
- ١٩- أبو دف ، محمود خليل ، (٢٠٠٦م) : دراسات في الفكر التربوي الإسلامي ، مكتبة أفاق ، غزة .
- ٢٠- أبي بكر ، شمس الدين محمد بن ، (٢٠٠٢م) : روضة المحبين ونزهة المتقين ، ط١ ، دار بن رجب للنشر والتوزيع ، القاهرة .
- ٢١- الأصفهاني ، الراغب ، (١٩٩٢م) : مفردات ألفاظ القرآن ، دار العلم للنشر والتوزيع ، دمشق .
- ٢٢- الأطرش ، محمد أحمد ، (٢٠٠٢م) : حقيقة التقوى وطرق الوصول إليها ، دار الإيمان ، الاسكندرية .
- ٢٣- الأغا ، إحسان ، (١٩٩٧م) : البحث التربوي ، مطبعة المقداد ، غزة .
- ٢٤- الألباني ، ناصر الدين ، (١٩٧٩م) : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، مكتبة المعارف ، الرياض .
- ٢٥- الألويسي ، شهاب الدين ، (ب . ت) : روح المعاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .
- ٢٦- الأندلسي ، أبو حيان ، (٢٠٠١م) : تفسير البحر المحيط ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٢٧- أنيس ، إبراهيم وآخرون ، (١٩٧٢م) : المعجم الوسيط ، ط٢ المجمع اللغوي .
- ٢٨- البخاري ، (١٩٨٥م) : الأدب المفرد ، عالم الكتب ، بيروت .

- ٢٩- البخاري ، (١٩٩٧م) : صحيح البخاري ، بيت الأفكار الدولية للطباعة والنشر ، الأردن .
- ٣٠- البزار ، أبي بكر أحمد ، (١٩٩٣م) : البحر الزخار ، المعروف بمسند البزار ، ط ١ ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .
- ٣١- البغوي ، الحسين بن مسعود ، (١٩٩٧م) : معالم التنزيل ، ط ٤ طار طيبة للنشر والتوزيع الرياض .
- ٣٢- البوطي ، محمد سعيد ، (١٩٧٨م) : فقه السيرة ، ط ٧ ، دار الفكر ، بيروت .
- ٣٣- البيضاوي ، (١٩٨٨م) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٣٤- الترمذي ، (ب . ت) ، سنن الترمذي ، تحقيق ناصر الدين الألباني ، ط ١ ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض .
- ٣٥- الجزائري ، أبو بكر ، (١٩٧٦م) : منهج المسلم ، ط ٨ ، دار فينوس للطباعة والنشر ، القاهرة .
- ٣٦- حجازي ، محمد محمود ، (١٩٦٩م) : التفسير الواضح ، ط ٦ مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة .
- ٣٧- حنبل ، أحمد بن ، (١٩٩٣م) : مسند الإمام أحمد ، تحقيق الدكتور سمير طه المجذوب ، ط ١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- ٣٨- الحنبلي ، ابن رجب ، (٢٠٠٢م) : جامع العلوم والحكم ، ط ١ ، دار ابن رجب ، المنصورة .
- ٣٩- حوى ، سعيد ، (١٩٧٩م) : تربيتنا الروحية ، ط ٢ ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
- ٤٠- حوى ، سعيد ، (١٩٨٠م) : جند الله ثقافة وأخلاقاً ، ط ٣ ، مطبعة دار التراث العربي ، القاهرة .
- ٤١- حوي ، سعيد ، (١٩٨٥م) : الأساس في التفسير ، ط ١ ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة .
- ٤٢- خالد ، عمرو ، (٢٠٠٢م) : أخلاق المؤمن ، ط ١ ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

- ٤٣- خالد ، عمرو ، (٢٠٠٣م) : **حتى يُغيروا ما بأنفسهم** ، ط ١ ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت
- ٤٤- الدارمي ، (٢٠٠٠م) : **سنن الدارمي** ط ١ ، دار الحديث ، القاهرة .
- ٤٥- الدمشقي ، علي بن أبي العز ، (١٩٩٣م) : **شرح العقيدة الطحاوية** ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- ٤٦- الرازي ، فخر الدين بن محمد ، (١٩٨٠م) : **تفسير الفخر الرازي** ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت .
- ٤٧- الرازي ، محمد بن بكر ، (ب . ت) : **مختار الصحاح** ، طبعة جديدة منقحة ، دار الحديث ، القاهرة .
- ٤٨- رضا ، محمد رشيد ، (ب.ت) : **تفسير المنار المسمى "تفسير القرآن الكريم"** ، ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٤٩- زكريا ، أبي الحسين بن ، (١٩٩٩م) ، **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت .
- ٥٠- الزمخشري ، أبي القاسم جار الله ، (١٩٧٢م) : **تفسير الكشاف شركة ومطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة .**
- ٥١- سابق ، سيد ، (١٩٨٧م) : **فقه السنة** ، ط ٨ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ٥٢- سابق ، سيد ، (ب.ت) : **إسلامنا** ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ٥٣- السعدي ، محمد بن ناصر ، (١٩٨٨م) : **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، ط ١ ، مطبعة المدني ، جدة .
- ٥٤- السلطان ، عبد العزيز الحمد ، (١٩٨٢) : **موارد الظمآن لدروس الزمان** ، ط ١١ ، ج ٤ ، المملكة العربية السعودية ، رئاسة إدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد .
- ٥٥- السيوطي ، (١٩٩٠م) : **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٥٦- الشامي ، محمد يوسف الصالحي ، (١٩٩٠م) : **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد** ، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة .

- ٥٧- الشنقيطي ، محمد الأمين بمن محمد المختار ، (ب.ت) : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، مطبعة المدني ، القاهرة .
- ٥٨- الشوكاني ، (١٩٩٢م) : فتح القدير ، ط ١ ، دار الخير للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٥٩- الصابوني ، محمد علي ، (ب.ت) : روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ، مكة المكرمة .
- ٦٠- صبري ، نائلة هاشم ، (١٩٩٨م) : المبصر لنور القرآن ، ط ١ مطبعة الرسالة المقدسية ، القدس .
- ٦١- الصلابي ، علي محمد ، (٢٠٠٢م) : تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين ، دار الإيمان للطباعة والنشر ، الإسكندرية .
- ٦٢- الصلابي ، محمد علي ، (٢٠٠٠م) : مبشرات النصر والتمكين ، ط ١ ، دار العفاني للتوزيع والنشر ، القاهرة .
- ٦٣- الصوري ، يوسف خاطر حسن ، (ب . ت) : أساليب الرسول في الدعوة والتربية ، صندوق التكافل لرعاية أسر الشهداء والأسرى .
- ٦٤- طبارة ، عفيف ، (١٩٧٩م) : روح الصلاة في الإسلام ، ط ٩ ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- ٦٥- طبارة ، عفيف ، (١٩٨٧م) : مع الأنبياء في القرآن ، ط ١٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- ٦٦- طبارة ، عفيف ، (١٩٨٨م) : روح الدين الإسلامي ، ط ٢٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- ٦٧- الطبراني ، أبي القاسم سليمان ، (ب.ت) : المعجم الكبير ، خرجه حمدي عبد الحميد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
- ٦٨- الطبري ، (١٩٩٢م) : تفسير الطبري المسمى جامع البيان ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٦٩- العبيدي ، محمد عبدالله ، (٢٠٠٤م) : البحث الدلالي عند الشوكاني ، ط ١ ، وزارة الثقافة والسياحة ، اليمن .

- ٧٠- العفيفي ، طه عبد الله ، (١٩٨١م) : من وصايا الرسول ، دار التراث العربي ، القاهرة .
- ٧١- علوان ، عبد الله ناصح ، (١٩٨٣م) : تربية الأولاد في الإسلام ، ط٦ ، دار السلام للطباعة والنشر .
- ٧٢- الغزالي ، أبو حامد ، (ب . ت) : إحياء علوم الدين ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٧٣- الغزالي ، محمد ، (١٩٨٠م) : خلق المسلم ، ط٢ ، دار القلم ، بيروت .
- ٧٤- الفارسي ، علاء الدين بن علي بلبان ، (١٩٨٧م) : صحيح ابن حبان ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٧٥- فريد ، أحمد ، (١٩٨٦م) : تزكية النفوس ، تحقيق ماجد بن أبي الليل ط١ ، دار نافع للطباعة والنشر ، القاهرة .
- ٧٦- فريد ، أحمد ، (١٩٩٣م) : التقوى الغاية المنشودة والدرة المفقودة ، ط١ ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض .
- ٧٧- فريد ، أحمد ، (٢٠٠٦م) : التربية على منهج أهل السنة والجماعة ، ط٣ ، الدار السلفية للنشر والتوزيع ، الاسكندرية .
- ٧٨- الفيروز بادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (٢٠٠٣م) : القاموس المحيط ، ط٩ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٧٩- القادري ، عبد الله أحمد ، (١٩٩٢م) : الجهاد في سبيل الله حقيقته وغاياته ، ط٢ ، دار المنار ، جدة .
- ٨٠- القاسمي ، محمد جمال الدين ، (٢٠٠٣م) : تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، ط١ ، دار الحديث ، القاهرة .
- ٨١- القرضاوي ، يوسف ، (١٩٩٢م) : التربية الإسلامية ومدرسة حسن البناء ، ط٣ ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
- ٨٢- القرضاوي ، يوسف ، (١٩٧٣م) : العبادة في الإسلام ، ط١١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- ٨٣- القرضاوي ، يوسف ، (ب.ت) : الصبر في القرآن ، ط١ ، دار المعرفة ، الدار البيضاء ، المغرب .

- ٨٤- القرطبي ، (١٩٨٨م) : الجامع لأحكام القرآن ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٨٥- قطب ، سيد ، (١٩٨١م) : في ظلال القرآن ، ط ١٠ ، دار الشروق ، بيروت .
- ٨٦- قطب ، سيد ، (١٩٨١م) : معالم في الطريق ، دار الشروق ، بيروت .
- ٨٧- المحاسبي ، الحارث بن أسيد ، (١٩٨٦م) : معاتبة النفس ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار العتصام ، القاهرة .
- ٨٨- المشوخي ، إبراهيم ، (ب.ت) : آفات اللسان ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن .
- ٨٩- المودودي ، أبو الأعلى ، (ب . ت) : نظام الحياة في الإسلام ، دار الدعوة ، الاسكندرية .
- ٩٠- النحلاوي ، عبد الرحمن ، (١٩٨٨م) : التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- ٩١- النسفي ، أبي البركات عبد الله بن أحمد ، (ب.ت) ، تفسير القرآن الجليل بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ٩٢- النووي ، (٢٠٠٣م) : الأدكار النووية ، ط ١ دار الحديث للطباعة والنشر ، القاهرة .
- ٩٣- النووي ، (٢٠٠٢م) : رياض الصالحين ، ط ١ ، دار الفجر للتراث ، القاهرة .
- ٩٤- النووي ، (١٩٩٠م) : شرح الأربعين النووية ، دار التوزيع والنشر الإسلامية .
- ٩٥- النيسابوري ، مسلم بن الحجاج القسيري (٢٠٠٢م) : صحيح مسلم ، ط ١ ، دار ابن رجب - القاهرة .
- ٩٦- هارون ، عبد السلام ، (١٩٩٢م) : تهذيب سيرة ابن هشام ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- ٩٧- ياسين ، محمد نعيم ، (١٩٨١م) : الجهاد ميادينيه وأساليبيه ، ط ٢ ، مكتبة الأقصى ، عمان .
- ٩٨- يكن ، فتحي ، (١٩٧٧م) : قوارب النجاة في حياة الدعاة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٩٩- يكن ، فتحي ، (٢٠٠٠م) : ماذا يعني إلتمائي للإسلام ، ط٤٢ ، مؤسسة الرسالة ، القاهرة .

الرسائل العلمية :

١- أبو دف ، محمود ، (١٩٩٢م) ، " الجانب الإيماني في التربية الإسلامية وانعكاساته على حياة الأفراد " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة أم درمان ، السودان .

٢- الحازمي ، العباسي (١٩٩٦م) ، " الهداية في القرآن الكريم " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمام ، الرياض ، كلية أصول الدين .

٣- القدرة ، رضا ، (٢٠٠٢م) ، " محببات العمل الصالح وآثارها كما يُصورها القرآن الكريم " رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية ، غزة .

٤- خلف ، طلال ، (٢٠٠٤م) ، " التربية الروحية في الإسلام " ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، القاهرة .

٥- لولو ، محمد فتحي (٢٠٠١م) ، " الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، الأردن .

الدوريات :

١- إبراهيم ، معوض عوض ، (١٩٩٠م) ، (التقوى أم الفضائل) ، مجلة منبر الإسلام عدد ٦ ، ص ٤٤ .

٢- أبو عودة ، عودة ، (٢٠٠٤م) : (التقوى : منهاج ، سلوك ، وعمل) ، مجلة أفق عدد ١١ ، الأردن .

٣- بن باز ، عبد العزيز (١٩٧٦م) : (التقوى سبب كل خير) ، مجلة الجامعة الإسلامية عدد ٢ ، جدة .

٤- الجليل ، عبد العزيز ، (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) : (المفهوم الصحيح للعبادة ومظاهر انحرافه وضعفه) ، مجلة البيان ، عدد ١٠٤ .

- ٥- عبد الله ، عمر ، (١٩٩٤م) : (التقوى : أكثر من معنى ومفهوم)، مجلة الإصلاح ، عدد ٢٩٥ .
- ٦- عمارة ، محمود محمد ، (١٩٨١م) : (التقوى في ميزان الإسلام) ، الوعي الإسلامي عدد ١٩٨ .
- ٧- القرشي ، على ، (٢٠٠٠م) (التقوى وإشكالية الاختلاف والوحدة في الإطار الإسلامي)، المسلم المعاصر - دراسات تربوية ، عدد ٩٩ ، ص ص ٥-١٥ .

مواقع الانترنت :

- ١- موقع محمد عبد الله الهيدان ، <http://www.islamlight.net/index.php> ، د. رياض بن محمد المسميري (١٤٢٨هـ-٢٠٠٦م) : حقيقة التقوى ، مقالة لخطبة جمعة .
- ٢- موقع مكتبة المسجد النبوي ، محمد بن عبد الله السبيل (١٤٢٣هـ-٢٠٠١م) ، <http://www.mktaba.org/vb/showthread.php?t=5962> ، مفهوم التقوى ، مقالة ، خطبة جمعة ، مكة المكرمة .
- ٣- (موقع المؤتمر نت ، <http://www.almotamar.net/news/23448.htm>) ، لكتاب البحث الدلالي .
- ٤- موقع صيد الفوائد ، <http://www.saaaid.net/book/index.php> ، كتاب التقوى الدرة المفقودة ، في باب التربية والسلوك .
- ٥- الجرجاني ، الشريف ، (١٩٨٧م) : التعريفات ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد موقع النت www.awu-dam.org/book .
- ٦- موقع لإسلام اليوم ، www.islamtoday.net .
- ٧- موقع مجلة البيان ، www.albayan-magazine.com .